بحوث في

خط المرجعيّة

تأليف

العلامة المجاهد سماحة

السيد صدر الدين القبانجي

هوية الكتاب

الكتاب: بحوث في خط المرجعية

المؤلف: السيد صدر الدين القبانجي

الناشر: مكتب إمام جمعة النجف الأشرف

الطبعة: الرابعة _ النجف الأشرف _ ١٤٢٥ هـ

عدد النسخ: ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: البيان / النجف الأشرف

السعر: ٨٠٠ دينار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمّد المصطفى وآله الأطيبين المنتجبين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وجعلهم في الأمّة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، وكباب حطّة في بني إسرائيل، من دخله كان آمناً، وجعلهم شهداء على خلقه، وأعلاماً في بريّته، وأدلاّء على صراطه.

وبعد، فالمرجعيّة الرشيدة امتداد للنبوّة والإمامة على خطّ القيادة والشهادة، والمرجع الرشيد هو المعبّر الشرعيّ عن الإسلام، وهو النائب العام عن الإمام من الناحية الشرعيّة، فقد روي عن إمامنا المنتظر عجل الله فرجه أنّه قال: «... وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله على الناس».

ومن هنا كان دور المرجع كشهيد على الأمّة دوراً ربّانياً لا يمكن التخلّي عنه، وكان دوره في إطار الخلافة العامّة للإنسان على الأرض دوراً بشرياً اجتماعيّاً يستمدّ قيمته وعمقه من مدى وجود الشخص في الأمّة وثقتها بقيادته الاجتماعية والسياسية، على حدّ تعبير السيد الشهيد مُحَمَّد باقر الصدر (قدس).

وهذا الكتاب الذي بين يديك _ عزيزي القاريء الكريم _ كتاب قيّم تناول فيه العلامة المجاهد السيد القبانجي دامت بركاته بحوثاً في خطّ المرجعية تعالج معالم خطّ المرجعية باعتبارها حقيقة اجتماعية موضوعيّة في الأمّة تقوم على أساس الموازين الشرعية العامّة، ثمّ تتعرّض هذه البحوث لمعالم التنظيم في ضوء خطّ المرجعية، فتناقش أمر التنظيم في الحوزة العلميّة بمجالاته العلمية والتبليغيّة والإداريّة والسياسيّة والاجتماعية، ثمّ تعرّج على دور علماء الدين في ضوء خطّ المرجعيّة، باعتبارهم الروابط بين المرجع والأمّة، والامتداد الأفقي الحقيقيّ للمرجعيّة، الذي يجعل منها محوراً قويّاً فاعلاً؛ ثمّ تعرّض لدور الجماهير في ضوء خطّ المرجعيّة وأسس عمل هذه الجماهير، وتنتهي إلى مناقشة المكاسب السياسيّة لخطّ المرجعيّة، وتناقش خلال ذلك

التجربة الرائدة التي خاضتها المرجعيّة في إيران بعد قيام الجمهورية الإسلامية فيها.

ويسرّ مكتب إمام الجمعة في النجف الأشرف أن يقدّم للقرّاء الكرام هذا الكتاب باعتباره مساهمة فاعلة في إغناء الفكر السياسي الإسلامي في إحدى أهم مواضيع الساعة، والله تعالى نسأل أن يوفّقنا لخدمة الإسلام وأهله إنّه سميع الدعاء قريب مجيب.

الناشر

٢٥ / ربيع الثاني / ١٤٢٥ هـ

مقدمة المؤلف

للطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

من المهم في مقدمة هذا الكتاب في طبعته الرابعة الإشارة إلى أنه إذا كان ثمة اختلاف في منهج العمل السياسي وفقاً لما نسميّه بـ «خط المرجعيّة» ومنهج العمل السياسي وفقاً لما نسميّه بـ «الخط الحزبي» فان هذا الاختلاف في مناهج العمل يجب أن لا يؤثر في مسارات الوحدة والتعاون التي يجب أن تتلاحم فيها كل المناهج والمذاقات السياسيّة من أجل بناء عراق حرّ يقوم على أساس العدالة والإسلام.

إن هذا الكتاب الذي قدم دراسة نظرية ــ قبل حوالي ربع قرن ــ للمقارنة بين المنهجين في العمل الإسلامي يجب أن يتم التعامل معه على أساس كونه دراسة علميّة مقارنة ــ لا تصطدم مع ضرورة توافق كل المناهج وتعاضدها وتعاونها من أجل تحقيق الأهداف المشتركة.

إنني في مقدمة الطبعة الرابعة لهذا الكتاب أود أن أؤكد على نزاهة وإخلاص كل اولئك الذين دافعوا عن الإسلام والمذهب والوطن على اختلاف مناهجهم، واليوم ببركة تلك الجهود والدماء تحرّر العراق من أعتى نظام طاغوتي ليدخل في مرحلة العمل من أجل بناء العراق الإسلامي الجديد بإذن الله تعالى.

المؤلف

١٨ / ربيع الثاني / ١٤٢٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف

رغم مضي حوالي عشرين عاماً على الطبعة الاولى[1] والثانية لهذا الكتاب عام ١٤٠٣ و١٤٠٥ للهجرة، إلاّ أن موضوعات هذا الكتاب ما تزال ساخنة في ساحتنا السياسيّة.

* * *

وقد دعاني الشعور بحاجة المكتبة الاسلامية السياسية الى المزيد من هذه الابحاث والدراسات، وكذلك حاجة المثقف الرسالي والعامل في سبيل الاسلام الى المزيد من المعرفة بمناهج الاسلام السياسية الى إعادة طباعة هذا الكتاب.

* * *

[1]. ولما كانت اكثر افكار هذه البحوث مستمدّة من فكر سيدنا وأستاذنا المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس) فقد صدرت الطبعة الاولى منها في سلسلة «**بحوث في فكر الشهيد الصدر**».

بأمل أن يكون مساهمة متواضعة في هذا المجال، اعترف مسبقاً أنّها تحتاج الى ترشيد وتطوير، عسى أن يتقبلها الله مني بأحسن القبول وأكرم العفو، ويتلقاها المؤمنون العاملون بالرضى وجميل الاحسان.

السيد صدر الدين القبانجي

صفر _ ١٤٢٢ هـ

الفصل الاول

معالم

خط المرجعية

- التعريف بخط المرجعية
- معالم خط المرجعية
- ملاحظات على خط المرجعية

(خط المرجعية) هو منهج للعمل الاسلامي، وأطروحة في كيفية توجيه الأمة، وقيادتها سياسياً ودينياً.

وكثيراً ما ينظر الى خط المرجعية بوصفه مباينا لـ (الخط الحزبي) من حيث أنّ (الخط الحزبي) هو الآخر منهج للعمل الاسلامي وأطروحة في كيفية توجيه الأمة، وقيادتها سياسياً ودينياً.

* * *

سوف نرى _ إنْ شاء الله تعالى _ ما إذا كانت هذه النظرة صحيحة أم لا، إلاّ اننا ندرك بعمق أنّ (خط المرجعية) ما يزال لم يستوف حقه من الشرح والايضاح، وما تزال الأمة، بل وحتى أبناء هذا الخط أنفسهم لا يحملون غير صورة مبهمة عنه، ولعله بعض الخطوط العريضة جداً...

إنّ علينا أن نكتشف المعالم الرئيسية لهذا الخط، ومن ثم نعرف ما هو دور الاحزاب والتنظيمات الاسلامية في ضوء هذا الخط، ثم ما هو دور (علماء الدين) في ضوء هذا الخط أيضاً...

وهل يمثل (الخط الحزبي) أطروحة مخالفة لـ (خط المرجعية) أم لا؟

هذا هو ما نود بحثه سريعاً وبمستوى عامة القراء...

* * *

التعريف بخط المرجعية

أولاً: من هو المرجع؟

ومن هو الفقيه؟

الفقيه: _ هو الرجل المتمكن من استنباط الاحكام الشرعية بالطرق الصحيحة، مهما يكن حجم وجوده الاجتماعي في الأمة، ومهما تكن علاقة الأمة به.

إنّ مجرد بلوغه درجة الاجتهاد من الناحية العلمية يكفي لأن نطلق عليه كلمة «الفقيه».

أما المرجع: _ فهو الفقيه الذي دانت له الأمة، ورجعت اليه عملياً، ووثقت بقيادته، وأبوّته لها.

فالمرجع نلاحظ فيه الجانب العلمي، والجانب الاجتماعي...

فهو من الناحية العلمية مجتهد وفقيه، كأي واحد من الفقهاء، أو أعلى منهم علميا.

وهو من الناحية الأجتماعية يتمتع بثقة عالية من قبل الأمة، منحتها إياه عبر تجربة طويلة عاشها المرجع وأثبت أصالته وجدارته واكتسب من خلالها درجة عالية من العدالة والخبرة وقوة الصمود والارادة.

هذا هو المرجع، وفي ذلك كتب سيدنا الشهيد الامام الصدر وهو يتحدث عن المرجعية قائلا:

«المرجعية حقيقة اجتماعية موضوعية في الأمة تقوم على أساس الموازين الشرعية العامة...».

فيجب أن يتوفر في الشخص الذي يجسد هذه المقولة:

أولاً: صفات المرجع الديني في الاجتهاد المطلق والعدالة.

ثانياً: أن يكون خطه الفكري من خلال مؤلفاته وأبحاثه واضحاً في الايمان بالدولة الاسلامية وضرورة حمايتها.

ثالثا: أن تكون مرجعيته بالفعل في الأمة بالطرق الطبيعية المتبعة تاريخيا.[١]

وعلى أساس ذلك فالامة هي التي تعيّن المرجع وتختاره، حينما تدين له بالتقليد والولاء الروحي والفكري..

---

[١]. لمحة فقهية تمهيدية _ السيد الصدر ٢٧ _ ٢٨.

هكذا تحدث السيد الشهيد أيضاً: _

«المرجع الشهيد _ القائد _ معيّن من قبل الله بالصفات والخصائص، أي بالشروط العامة في كل الشهداء _ الشهادة هنا بمعنى القيادة _ التي تقدم ذكرها ومعيّن من قبل الأمة بالشخص، إذ تقع على الأمة مسؤولية الاختيار الواعي له».[١]

* * *

معالم خط المرجعية

والآن نعود الى السؤال عن خط المرجعية. ما هو؟ وماذا يعني؟ خمس نقاط تحدّد المعالم الرئيسية لخط المرجعية:

الأولى: _ الدور القيادي للعلماء

اعطاء العلماء الصفة القيادية للأمة كما عبر السيد الشهيد هو المعلم الاول من معالم هذا الخط.

إنّ قيادة (المرجعية) هي قيادة فعلية ونافذة في الأمة، وليست مجرد أبوة روحية خالية عن التأثير والتحريك والتوجيه الحقيقي الفعّال للساحة.

---

[١]. خلافة الانسان _ السيد الصدر ٥٢ _ ٨٣.

فـ (خط المرجعية) لا يفهم المرجع بوصفه رجلاً مفصولاً عن حركة الأمة، يبارك لها بالتوجيه والنصح والاشراف البعيد فقط، بل المرجع هو القائد الحقيقي الذي يباشر اتصاله مع جماهير الأمة شخصياً، وتكون كلمته هي الكلمة الحاسمة والاخيرة.

لقد لخّص السيد الشهيد أهداف المرجعية الدينية الصالحة في خمس نقاط.[١]

وقد ذكر منها: ــ «إعطاء مراكز العالمية من المرجع الى أدنى مراتب العلماء الصفة القيادية للامة بتبنّي مصالحها، والاهتمام بقضايا الناس ورعايتها واحتضان العاملين في سبيل الاسلام...».

وأما في فرض قيام الدولة الاسلامية فقد لخّص السيد الشهيد مهمة المرجع فيما يلي:

أولاً: إنّ المرجع هو الممثل الاعلى للدولة والقائد الاعلى للجيش.

ثانياً: المرجع هو الذي يرشح أو يمضي ترشيح الفرد أو الافراد الذين يتقدمون للفوز بمنصب رئاسة السلطة التنفيذية.

ثالثاً: على المرجعية تعيين الموقف الدستوري للشريعة الاسلامية.

---

[١]. في أطروحة كتبها السيد الشهيد عن (المرجعية الصالحة).

رابعاً: عليها البتّ في دستورية القوانين التي يعينها مجلس أهل الحل والعقد لملء منطقة الفراغ.

خامساً: إنشاء محكمة عليا للمحاسبة في كل مخالفة محتملة في المجالات السابقة.

سادساً: إنشاء ديوان المظالم في كل البلاد لدراسة لوائح الشكاوى والمتظلمين وإجراء المناسب بشأنها.[١]

وفي هذه النقاط الستّ ندرك أن المرجع هو صاحب القيادة الحقيقية والفعلية في الأمة، ويمكن أن نصطلح على ذلك بأن دور المرجع هو دور أساسي، وليس دوراً تكميلياً وثانوياً.

الثانية: _ قيادة المرجعية

وقيادة الأمة لا يمارسها كل فقيه مهما يكن وجوده الاجتماعي ومهما كانت تجربته مع الأمة انما يتحمل مسؤوليتها الفقيه المرجع، هكذا يرى سيدنا الشهيد الصدر، وهي نظرية ذات أبعاد فقهية وسياسية رائعة لا يتسع لها مجال البحث فعلاً.[٢]

---

[١]. لمحة فقهية / ٢٥ _ ٢٧.

[٢]. نأمل بحول الله تعالى أن نوفق في دراستها ونشرها في كتاب (المذهب السياسي في الاسلام).

كتب شهيدنا العظيم:

«خط الشهادة _ بمعنى القيادة _ يتحمل مسؤوليته المرجع على أساس أن المرجعية امتداد للنبوة والامامة على هذا الخط».[١]

وكتب أيضاً:

«إن دور المرجع كشهيد على الأمة دور رباني لا يمكن التخلي عنه، ودوره في إطار الخلافة العامة للانسان على الارض دور بشري اجتماعي يستمد قيمته وعمقه من مدى وجود الشخص في الأمة وثقتها بقيادته الاجتماعية والسياسية».[٢]

وعلى ذلك نعرف أن الفقاهة وحدها غير كافية لأن تضع مقاليد الامور كلها، ومستقبل الأمة، ومسيرة التجربة الاسلامية بيد فقيه ليس له ممارسة طويلة مع الأمة، ولا سابقة في توجيهها والتعامل معها.

وكيف نفترض _ في ضوء هذه النظرية _ أن يتحكم في مستقبل الأمة الاسلامية ومصيرها، وتأريخها الطويل، فقيه لا تربطه مع الأمة علاقة تقليد وولاء وودّ وانقياد ذاتي؟ فقيه قد لا تعرفه ولا يعرفها ولم

---

[١]. خلافة الانسان / ٥١ _ ٥٢.
[٢]. خلافة الإنسان / ٥٥ _ ٥٦.

تمحّصه التجارب الانسانية وعملية المواجهة مع مختلف القوى الشريرة.

ومن هنا فقد اعتبر أستاذنا الشهيد (الاساس الاجتماعي) مضافاً الى (الاساس العلمي) شرطاً في من له حق الولاية.

أما إذا تعدد الشخص الذي يتوفر فيه هذان الاساسان، بمعنى أنه كان هناك أكثر من مرجع في الأمة، فقد كتب السيد الشهيد: «وفي حالة تعدد المرجعيات المتكافئة من ناحية هذه الشروط يعود الى الأمة أمر التعيين من خلال استفتاء شعبي عام».[١]

ويجب أن نشير بهذا الصدد الى أن هذه النظرية هي التي جرى عليها وأقرها الدستور الاسلامي للجمهورية الاسلامية في ايران، فقد جاء فيه: «إذا عرفت وقبلت الاكثرية الساحقة من الشعب بمرجعية وقيادة أحد الفقهاء _ كما هو حادث بالنسبة للمرجع الكبير، قائد الثورة الاسلامية آية الله العظمى الامام الخميني _ تكون لهذا القائد ولاية الامر، وكافة المسؤوليات الناشئة عنها».[٢]

كما جاء فيه أيضاً أن القائد يشترط فيه:

١ _ الصلاحية العلمية، والتقوى اللازمة للافتاء والمرجعية.

---

[١]. لمحة فقهية / ٢٨ _ ٢٩.

[٢]. القانون الأساسي للجمهورية الإسلامية _ الفصل الثامن _ المادة ١٠٧.

٢ ــ الرؤية السياسية والاجتماعية، والشجاعة الكافية، والقدرة، والادارة الكافية للقيادة.[١]

الثالثة: ــ علماء الدين هم الروابط بين المرجع والامة

إن علماء الدين و(طلبة العلوم الدينية) هم الاداة التي يستعين بها المرجع على الامتداد في جسم الأمة، وتحريكها وتوجيهها. هذا مضافاً الى ارتباطه مباشرةً وبدون وسيط.

ومعنى ذلك أن هذه القاعدة العريضة هي الركيزة الاساسية والفعالة في توجيه الأمة وربطها بالمرجع الديني القائد.

ولقد أكد السيد الشهيد في نص متقدم على ضرورة إعطاء الصفة القيادية لكل مراكز العالمية من المرجع الى أدنى مراتب العلماء.[٢]

وأكّد بهذا الصدد ضرورة: «ايجاد امتداد أفقي حقيقي للمرجعية يجعل منها محوراً قوياً تنصب فيه قوى كل ممثلي المرجعية والمنتسبين اليها في العالم».[٣]

---

[١]. القانون الاساسي للجمهورية الاسلامية ــ الفصل الثامن ــ المادة ١٠٩.
[٢]. من أطروحته حول المرجعية الصالحة.
[٣]. من الاطروحة السابقة.

وأكد بهذا الصدد أيضاً أن من المهمات اللازمة لتعميق نفوذ المرجعية:

«ايجاد صلات مع المرجعية في المناطق التي لم تتصل مع المركز، ويدخل في مسؤوليتها إحصاء المناطق ودراسة إمكانات الاتصال بها، وايجاد سفرة تفقدية إما على مستوى تمثيل المرجع أو على مستوى آخر. وترشيح المناطق التي أصبحت مستعدة لتقبل العالم وتولي متابعة السير بعد ذلك».[١]

إنّ هؤلاء العلماء وطلاب العلوم الدينية هم الذين يمثلون المرجع الديني للامة، ومنهم تستمد الأمة ثقتها بحركتها، وسيرتها، بل ومنهم تأخذ الأمة التعاليم الدينية، والوظيفة الشرعية التي يجب ممارستها وامتثالها سواء على مستوى العبادات والمعاملات أو على مستوى العمل الإسلامي عموماً.

وطبيعي أن هذا يتطلب مواصفات وشروطاً يتعين توفرها في العلماء وهذا ما سنتحدث عنه انْ شاء الله تعالى.

ما نريد التأكيد عليه في هذه النقطة أن العلماء ليسوا مجرد وعاظ، كما أن المرجع الديني ذاته لم يكن مجرد أب روحي، بل هم

---

[١]. من الاطروحة ذاتها.

يمارسون القيادة الحقيقية للأمة، ويكون حضورهم في الساحة حضوراً نافذاً وفعلياً، وليس مجرد إطار وغطاء لا يملك من أمر الحركة والتحرك الاسلامي شيئاً، إنما هناك أصابع خفية هي المحركة الحقيقية تحت هذا الغطاء.

عالم الدين الواعي المسؤول ــ ودائما يجب أن يكون هكذا ــ هو الموجه الحقيقي، وصاحب النفوذ في طريقة التحرك الاسلامي، والنشاط الديني، وليس مجرد حضور للتبرك والقداسة. ولئن صحّ ذلك أمكن القول أن (علماء الدين هم الرابط الحقيقي بين المرجع الديني وبين الأمة، وهم الجهاز الحركي الذي يمسك بشتات الأمة ويجمعها للالتفاف بقيادتها الدينية) وسوف نتحدث ــ إن شاء الله تعالى ــ عن ذلك أكثر في فصل (علماء الدين) الآتي.

الرابعة: ــ المرجع مصدر شرعية العمل

والنقطة الرابعة في معالم خط المرجعية هي: أن المرجعية لها «القيمومة على العمل الاسلامي والاشراف على ما يعطيه العاملون

في سبيل الاسلام في مختلف أنحاء العالم الاسلامي من مفاهيم، وتأييد ما هو حق منها وإسناده وتصحيح ما هو خطأ».[١]

فالمرجعية الدينية كما يكون لها الاشراف والقيمومة على الافكار والمفاهيم المطروحة في الساحة، كذلك لها الاشراف والقيمومة على العمل الاسلامي، وصيغه، ومراحله، وأهدافه.

وعلى هذا الاساس يمكن القول أن الاحزاب والتنظيمات وكل صيغ العمل الاسلامي ذات الابعاد الاجتماعية والسياسية تستمد شرعيتها وبالتالي ثقة الأمة بها من المرجعية الدينية.

فالمرجعية هي مصدر ثقة الأمة أو عدم ثقتها بكل أطروحة للعمل تنزل الى الساحة.

والمرجع الديني هو الذي يدفع الأمة نحو تبنّي صيغة عمل معينة ورفض صيغة أخرى.

والعكس مرفوض تماماً.

فليست الاحزاب والتنظيمات هي التي تمنح الأمة ثقتها بالمرجعية، أو بمرجع معين، وتجر الأمة اليه.

---

[١]. من الاطروحة.

بعبارة أوضح ليست الاحزاب والتنظيمات هي التي تصنع المرجعية، ترفع من يتوافق مع اتجاهها، وتضع من يختلف معها ولا يتبناها.

الاحزاب هي التي تستمد قيمتها من المرجع، وليس المرجع هو الذي يستمد قيمته من الاحزاب.

الاحزاب هي التي تتغلغل في صفوف الأمة من خلال تأييد المرجع لها، وليس المرجع هو الذي يتغلغل في صفوف الأمة من خلال تأييد الاحزاب له.

ليس الاعلام والدعاية التي يتبناها حزب معين هي التي تصنع المرجعية.

إذن ما هو الذي يصنع المرجعية؟ وبأي طريق يصبح الفقيه مرجعاً للأمة؟ وأي مرجع تكون له الولاية والقيادة؟

الشهيد السيد الامام الصدر يضع الطرق الطبيعية هي المعيار قائلا: «أن تكون مرجعيته بالفعل في الأمة بالطرق الطبيعية المتبعة تأريخياً».[1]

ما هي الطرق الطبيعية المتبعة تاريخيا؟

---

[1]. لمحة فقهية _ ٢٨.

ولماذا الاصرار على هذه الطرق وحدها؟

الطرق الطبيعية هي:

أولاً: اتصال الفقيه بالامة مباشرة، وحضوره الفعّال بين صفوفها، ومن خلال هذا الحضور وهذا الاتصال تتوطد ثقة الأمة به، وينمو ولاؤها له، ويتقدم في الطريق نحو المرجعية.

ثانياً: تأييد (الحوزة العلمية) و(علماء المناطق) له، ودعوة الناس اليه.

فالامة تختار هذا الفقيه لا ذاك من خلال تأييد المراكز العلمية، وعلماء الدين المبثوثين في مختلف المناطق من جسم الأمة له.

هذه هي الطرق الطبيعية التي جرى عليها تاريخ المرجعيات.

يبقى السؤال الاخير:

لماذا هذه الطرق وحدها؟

وماذا يعني التأكيد عليها من وجهة سياسية؟

باعتقادي الجواب واضح.

إذ لا يوجد غير هذه الطرق، أو _ بالاحرى _ لا يوجد ما هو أسلم من هذه الطرق، وأبعد عن الخطأ والانحراف، رغم أن الكل غير معصوم من الانحراف...

هنا طريقان يمكن أن نفترضهما البديل ثم نحاسبهما علمياً. هذان الطريقان هما (الاحزاب) و(أجهزة الدولة).

فهي تستطيع من خلال الدعاية والاعلام المنظم والمكثّف أن توجه أنظار الأمة الى فقيه معين فيصبح تدريجياً هو المرجع، بينما تصرف أنظار الأمة عن فقيه آخر فلا يمتد وجوده ولا يتوسع.

وطالما أنها أحزاب اسلامية، أو أجهزة في دولة اسلامية فلتكن هي الطريق البديل في تعيين المرجع واختياره.

إلا أن هذين الطريقين لا يمكن تأييدهما حيث نلاحظ عليهما:

أولا: _ أن رجوع الأمة بالتقليد الى فقيه ما لابد أن يخضع للميزان الشرعي.

والميزان الشرعي يشترط (الاعلمية) في الفقيه المقلَّد. وهذا الشرط يجب الرجوع فيه الى أهل الخبرة، وهم علماء الدين، وبعبارة ثانية أنّ التقليد لا يلاحظ فيه جانب الخبرة الاجتماعية والسياسية بمقدار ما يلاحظ فيه أولاً جانب العلم والفقاهة، وتحديد هذا الجانب ليس بيد الاحزاب السياسية ولا أجهزة الدولة الرسميّة وإنما هو بيد الفقهاء والعلماء أنفسهم.

ثانياً: _ ومن أجل إيجاد مرجعية صالحة رشيدة، ذات قدرة ووعي واهتمام بشؤون الأمة ومستقبل الاسلام، يكون الطريق الافضل لذلك هو أن يمر هذا الفقيه (المرشح للمرجعية) بتجربة مع الأمة، تستغرق زمناً كافياً للتعرف على جدارته وكفاءاته، وخلال هذه التجربة والاحتكاك المباشر مع الأمة يستطيع الفقيه _ إذا أثبت نجاحه _ أن يصعد في سلّم المرجعية.

إذن المطلوب ايجاد احتكاك مباشر بين الفقيه والامة، وهذا الاحتكاك المباشر من شأنه أن يكشف عن القدرات والمؤهلات الذاتية التي يتمتع بها الفقيه.

أما أن تتم مرجعية فقيه على أساس تأييد حزب أو أحزاب اسلامية أو أجهزة ودوائر رسميّة له، حسب رؤية سياسية لدى تلك الأحزاب أو الدوائر، فهذا من ناحية لا يكشف عن قدرات ومؤهلات ذاتية يتمتع بها الفقيه المرشح بل لعله مجرد توافق في المصالح السياسية مع الاحزاب والدوائر، وهو من ناحية ثانية يغفل عن أن الأمة هي صاحبة الحق في الحكم على هذا الفقيه أو ذاك، وهي الطريق الطبيعي لاكتشاف قدراته ومؤهلاته.

ثالثاً: _ من ناحية ثالثة فإنّ المرجعية يجب أن لا تخضع ولا تبقى أسيرة الصراعات السياسية بين الاحزاب أو بين أجهزة الدولة واتجاهاتها وتكون هي المتحكمة بمصيرها ومستقبلها.

إنما المرجعية هي الشاهدة على الاحزاب والقيّمة عليها، كما أنها هي القيّمة أيضاً على أجهزة الدولة وتصحيح مسارها وهي تثبت وجودها _ كما قلنا _ من خلال احتكاك مباشر مع الأمة، ومن خلال تأييد ودعم المراكز العلمية، وعلماء الدين في كافة المناطق.

الخامسة: _ الانفتاح والاستيعاب

وننتهي أخيراً الى النقطة الخامسة في معالم خط المرجعية وهي (الانفتاح والاستيعاب).

أنّ المرجعية الصالحة تعمل على أن تستوعب كل وجودات الأمة وكل طاقاتها.

سواء في ذلك الوجودات الجماهيرية غير التنظيمية أو كل المحاور الأخرى.

وخط المرجعية هو الخط الذي يؤمن بأن الأمة في الوقت الذي لا ينبغي أن تبقى بدون تنظيم (سواء على مستوى أحزاب، أو

اتحادات، أو جمعيات، أو غيرها من مؤسسات، ومنظمات وما شاكل ذلك)، لكن المرجعية هي التي تستوعب كل هذه التنظيمات، كما تستوعب الوجود غير التنظيمي أيضاً.

* * *

ملاحظات على خط المرجعية

هناك عدة تساؤلات واشكالات سجِّلت على خط المرجعية، حيث نحاول هنا دراسة تلك الملاحظات وتقييمها.

١ ـ هل المرجعية قيادة فردية؟

قالوا في الملاحظة الاولى: ـ «انّ المرجعية تمثل قيادة فردية لا يؤمَن من انحرافها أو خطئها مما يعرض مصير التجربة الاسلامية كلها للخطر».[١]

هذه الملاحظة تصدى سيدنا الشهيد (السيد الصدر) للاجابة عنها في أطروحة تهدف الى تحويل المرجعية من (المرجعية الذاتية) الى (المرجعية الموضوعية).

---

[١]. انظر مقال «بين خط التنظيم وخط المرجعية»، نشرته مجلة المنطلق في عددها السابع عشر لسنة ١٤٠٢ هـ.

وقال بعد أن بيّن اسلوب ذلك: _ «وبهذا الاسلوب الموضوعي من الممارسة يصون المرجع عمله المرجعي من التأثر بانفعالات شخصية ويعطي له بعداً وامتداداً واقعياً كبيراً اذ يشعر كل ممثلي المرجع بالتضامن والمشاركة في تحمل مسؤوليات العمل المرجعي وتنفيذ سياسة المرجعية الصالحة التي تقرر من خلال ذلك المجلس».

«ونحن نطلق على المرجعية ذات الاسلوب الفردي في الممارسة اسم المرجعية الذاتية وعلى المرجعية ذات الاسلوب المشترك والموضوعي في الممارسة اسم المرجعية الموضوعية».

نترك الى القارئ الكريم مطالعة الاطروحة نفسها..

ومن الناحية الأخرى فان المرجعية الدينية حينما تمارس عملية قيادة الدولة لا تمثل قيادة فردية مطلقة ومستبدة، انما تشاطرها الأمة أيضاً في عملية القيادة، فالامة هي التي تمارس السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية من خلال مجلس الممثلين، ورئاسة الحكومة التي يترك الى الأمة انتخابها.

«وهكذا وزع الاسلام في عصر الغيبة مسؤوليات الخطين _ خط الخلافة وخط الشهادة _ بين المرجع والامة، بين الاجتهاد الشرعي والشورى الزمنية، فلم يشأ أن تمارس الأمة خلافتها بدون شهيد

يضمن عدم انحرافها ويشرف على سلامة المسيرة، ويجدد لها معالم الطريق ولم يشأ من الناحية الأخرى أن يحصر الخطين معاً في فرد ما لم يكن هذا الفرد مطلقاً أي معصوماً».[١]

وقال أيضاً: _ «ومن الضروري أن يلاحظ أن المرجع ليس شهيداً على الأمة فقط، بل هو جزء منها أيضاً، وهو عادة من أوعى أفراد الأمة، وأكثرها عطاءاً ونزاهةً، وعلى هذا الاساس وبوصفه جزءاً من الأمة يحتل موقعاً من الخلافة العامة للانسان على الارض، وله رأيه في المشاكل الزمنية لهذه الخلافة وأوضاعها السياسية بقدر ماله من وجود في الأمة وامتداد اجتماعي وسياسي في صفوفها».[٢]

ومن ناحية ثالثة فان التجربة الطويلة للمرجع مع الأمة ومعاناته في عملية الصراع تمنحه، درجة من العدالة الفردية والعصمة المحدودة عن الخطأ والاشتباه والانسياق مع الذات والانفعالات.

٢ _ هل ترسم المرجعية مراحل العمل؟

وقالوا في الملاحظة الثانية أنه «خلال تاريخ المرجعيات الدينية الطويل لوحظ أنها لا تعيش وضعاً منسّقا، يمثل المراجع فيه حلقات من سلسلة واحدة.

---

[١]. خلافة الانسان وشهادة الانبياء _ السيد الصدر _ ص ٥٤ _ ٥٥.
[٢]. المصدر السابق مجلة المنطلق.

بل لوحظ أن كل مرجع يبدأ تجربته من نقطة الصفر، تاركاً وراءه تجربة المرجع الاخر، والمراحل التي قطعها.

انه لا توجد في عالم المرجعيات دراسة مراحل العمل وخطواته، يبدأ كل مرجع فيها من حيث انتهى الاخر، كما لا توجد في عالم المرجعيات دراسة للتجارب العملية القيادية التي مارسها المرجع القبلي ليتم الاستفادة منها في مواصلة المسيرة، وقطع شوط آخر من أشواط التجربة القيادية.

المرجعيات هي قيادات فردية متفرقة، لا تشترك بالتجربة، ولا في خطة عمل ذات مراحل مدروسة ومنسقة».[١]

هكذا لوحظ...!

ومن هنا رؤي أنه لابد من الاسلوب التنظيمي في الاطار الحزبي، ليتكفل هو دراسة التجربة الاسلامية، وتحديد مراحل العمل، وتنظيمها، ويقود الأمة حسب المراحل التي يضعها للعمل.

فالاسلوب التنظيمي في الاطار الحزبي: «يضمن للاسلام التركيز في خطواته المرحلية نحو الوصول الى الهدف...

---

[١]. المصدر السابق.

لأن من أصول التنظيم أن يحدد للعمل مراحل من خلال الظروف الموضوعية المطروحة في الساحة التي قد تفرض السرّية تارةً وقد تفرض العلنية أخرى...».[١]

فالعمل التنظيمي في الاطار الحزبي هو الذي يرسم للامة، وللتجربة الاسلامية مراحلها، من المرحلة الفكرية الى المرحلة السياسية، ثم المرحلة العسكرية..

«وهكذا يتحرك الخط السياسي ليحدد للامة الخط العسكري في صراعها المرير مع أعداء الله...».[٢]

هذه الملاحظة يجب أن نقف عندها ولو قليلا لانها إذا كانت ملاحظة صحيحة _ كما هي صحيحة الى حدٍ ما _ فعلينا أن نسأل عن الحل ما هو؟

هل الحل هو (الحزب)، حيث يوكل اليه تحديد مراحل العمل الاسلامي، وقيادة الأمة من مرحلة الى مرحلة؟

اذن ما هو دور المرجعية حينئذٍ؟ وما معنى قيادتها الفعلية؟

ثم هل تستطيع الاحزاب من ناحية عملية وسياسية أن تنجح في قيادة الأمة، والانتهاء بها خطوة فخطوة الى آخر الشوط؟

---

[١]. المصدر السابق.
[٢]. المصدر السابق.

أما (خط المرجعية) فهو يرى أن الحل ليس هو الاستعاضة عن المرجعية بالاسلوب التنظيمي والاطار الحزبي لتشخيص مهام العمل الاسلامي، وتشخيص مراحله، وتوجيه الأمة حسب تلك المراحل، ونقل القيادة من المرجع الى الحزب، انما الحل هو السعي لايجاد مرجعية موضوعية صالحة تتدارك الاخطاء التي لوحظت على بعض المرجعيات القديمة.

هذا هو ما سجله الشهيد الصدر، وسعى لتحقيقه، وهذا هو ما يتم السعي لانجازه في الجمهورية الاسلامية في ايران، حيث وضعت مشاريع مهمة على صعيد بناء الحوزة العلمية، وبناء المرجعية الصالحة.

لقد كتب الشهيد الصدر حول هذا الموضوع بالذات انّ من المهام المطلوبة: _ «ايجاد امتداد زمني للمرجعية الصالحة لا تتسع له حياة الفرد الواحد».[١]

فلابد من ضمان نسبي لتسلسل المرجعية في الانسان الصالح المؤمن بأهداف المرجعية الصالحة لئلا ينتكس العمل بانتقال المرجعية الى من لا يؤمن بأهدافها الواعية.

---

[١]. «المرجعية الصالحة» _ محمد باقر الصدر.

ولابد أيضاً من تهيئة المجال للمرجع الصالح الجديد، ليبدأ ممارسة مسؤولياته من حيث انتهى المرجع العام السابق بدلاً من أن يبدأ من الصفر ويتحمل مشاق هذه البداية وما يتطلبه من جهود جانبية، وبهذا يتاح للمرجعية الاحتفاظ بهذه الجهود للاهداف وممارسة ألوان من التخطيط الطويل المدى.

«ويتم ذلك عن طريق شكل المرجعية الموضوعية إذ في اطار المرجعية الموضوعية لا يوجد المرجع فقط، بل يوجد المرجع كذات ويوجد الموضوع وهو المجلس بما يضم من جهاز يمارس العمل المرجعي الرشيد، وشخص المرجع هو الذي يموت وأما الموضوع فهو ثابت..».[1]

اذن فالمرجعية الرشيدة الصالحة هي الحل والمرجعية هذه هي التي ترسم وتحدد أهداف العمل الاسلامي ومراحله والمرجعية هذه هي التي تسير بالامة، وتنقلها من مرحلة الى مرحلة وليس التنظيم الحزبي ولا نريد أن نشكك فعلا في قدرة الاحزاب على قيادة الأمة، فذاك ما نتركه الى بحث آتٍ _ ان شاء الله تعالى _ عن (دور الاحزاب في ضوء خط المرجعية).

---

[1]. المصدر السابق.

إنّ ما نريد قوله فعلا هو: _ أنّ نقاط الضعف في عدد من المرجعيات الدينية السابقة لا ينبغي أن يدعونا الى التشكيك في صواب هذا الخط ومحاسبة أطروحة المرجعية كلها بمقدار ما يدعونا الى الاحتفاظ بنقاط القوة في هذا الخط، وتصحيح ما فيه من أخطاء.

ومن الناحية الثانية فان نقل مهام العمل الاسلامي وتحديد مراحله من المرجع الى التنظيم الحزبي، يعني أن قيادة المرجعية الدينية أصبحت قيادة شكلية وفارغة من المحتوى. فهي ليست قيادة، وانما هي مقودة

وهي ليست موجِّهة _ بالكسر _ وانما هي موجَّهة _ بالفتح _ وهي ليست قيّمة على العمل الاسلامي، وانما القيم هو الحزب، وهذا ما يتنافى تماماً مع خط المرجعية، حيث يفترض فيه كما شرحنا إنّ القيادة الفعلية النافذة هي للمرجع ولعلماء الدين.

* * *

٣ _ المرجعية هل تبني القيادات؟

وقالوا في الملاحظة الثالثة أن المرجعية: «لا تعمل على تربية القيادات السياسية والاقتصادية للمجتمع».

ومن زاوية ثانية فاننا: «في جميع الحالات نلتقي بالعناصر القيادية المتنوعة التي أمكن للتنظيم أن يصنع منها القيادات التي تستطيع أن تقود التحرك في خط الاسلام الحق بعيداً عن الضغوط الخانقة التي تفرضها الاوضاع والظروف الشاذة.

فلا نحتاج _ عند نجاح الحركة _ الى أن نستعير قيادات من هنا وهناك ممن ليس لهم سابقة في دين، ولا تقدم في يقين، الامر الذي يوجب انحراف الحركة عن هدفها وفكرها واسلوبها العلمي الواعي. والدخول في متاهات روحية لا يعرف أولها من آخرها».[1]

نريد أن نسأل تعليقا على هذه الملاحظة: _

أولاً: _ من قال أن المرجعية لا تعمل على تربية القيادات السياسية والاقتصادية للمجتمع حتى نحتاج عند نجاح الحركة الى أن نستعير قيادات من هنا وهناك ممن لا سابقة لهم في دين، ولا تقدم لهم في يقين، الامر الذي يوجب انحراف الحركة والدخول في متاهات لا يعرف أولها من آخرها؟

---

[1]. مجلة المنطلق _ المقال السابق.

هذا الحديث صحيح لو كنا نتعامل مع مرجعية دينية معزولة، وغير واعية، ولا متصدية لقيادة التجربة، والاحتكاك مع الأمة والطاقات الموجودة فيها احتكاكاً مباشرا.

بالتأكيد فانّ مثل هذه المرجعية لا تعمل على تربية القيادات، وتنمية الطاقات، واحتضان كل القدرات، بل هي غير لائقة لقيادة الأمة.

أما إذا كان الحديث عن مرجعية واعية، وصالحة، وموضوعية، ومدركة تماما لمتطلبات المرحلة، ومتطلبات المستقبل، فانّ مثل هذه المرجعية سوف لا تستعير ولا تحتاج لأنْ تستعير قيادات من هنا وهناك، ممن لا سابقة لهم في دين، ولا تقدم لهم في يقين!

انّ المرجعية الرشيدة والواعية تستهدف من جملة ما تستهدف:

«ايجاد جهاز عملي تخطيطي وتنفيذي للمرجعية يقوم على أساس الكفاءة والتخصص وتقسيم العمل واستيعاب كل مجالات العمل المرجعي الرشيد في ضوء الأهداف المحددة ويقوم هذا الجهاز بالعمل بدلا من الحاشية التي تعبّر عن جهاز عفوي مرتجل يتكون من أشخاص جمعتهم الصدف».

وانّ المرجعية الصالحة تهتم بـ «رعاية العمل الاسلامي والتعرف على مصاديقه في العالم الاسلامي، وتكوين فكرة عن كل مصداق، وبذل النصح والمعونة عند الحاجة».[١]

ان هذه الملاحظة متأثرة جداً بنقاط الضعف التي عاشها تاريخ المرجعيات السابقة ولا يمكن بحال من الاحوال أن نكوّن من ذلك حكما عاماً على المرجعيات كلها، وعلى خط المرجعية، ونفترض حينئذ أنّ التنظيم في الاطار الحزبي هو وحده القادر على صنع القيادات، والعثور عليها. والاّ فان الكثير من التنظيمات الحزبية عاشت نقاطاً من الضعف أشد من كل ذلك بحيث انتهت الى درجة فاضحة من التخلف.

ثانياً: ــ ولماذا نفترض أن القيادات السياسية والاقتصادية تتجمع كلها في التنظيم الحزبي، وأما في خارج هذه الدائرة فلا يوجد الاّ أصفار؟

إنّ الأمة الاسلامية حينما تبلغ درجة من النضج ولو نسبياً فانّ القيادات والكفاءات السياسية والاقتصادية سوف توجد في داخل التنظيم الحزبي، كما توجد في خارجه. وإذا تجاوزنا دائرة الحزب فانه

---

[١]. من (اطروحة المرجعية الصالحة) للسيد الصدر.

ليس من التعيين أن نضيع في متاهات لا يعرف أولها من آخرها، أو أنْ نستعير قيادات لا سابقة لها في دين ولا تقدم لها في يقين!

وكيف اصبحت القيادات ذات الدين، والتقدم في اليقين هي من حكر الحزب وحده؟!

وبالتأكيد يسعى التنظيم الحزبي ـ بحق ـ لجمع القدرات والطاقات والقيادات، وجعلها تصب في رافد واحد، وضمن خطة موحدة.

وبالتأكيد فان التنظيم الحزبي قادر على معونة المرجعية بهذه الطاقات، لكن ما يجب أن نعرفه انّ المسألة ليست بهذا الشكل من الانحصار، كما أن المرجعية الدينية هي المسؤولة عن اختيار وتعيين هذه الطاقات أو تلك عند نجاح الحركة، وليس التنظيم الحزبي الاّ مساعد ومعين ـ بجدارة ـ للمرجعية حينما تسعى للاستفادة من طاقات الأمة المتناثرة وتوجيهها..

ثم انّ المرجعية هي الحاكمة فوق كل التنظيمات ـ التي قد تختلف وقد تتصارع ـ وهي التي تنتقي من هذا التنظيم أو من الطاقات والكفاءات غير التنظيمية الموزعة في صفوف الأمة.

واذا استطاع التنظيم أن يصنع القيادات فذلك لا يعني أبداً أنها هي التي تقود التحرك في خط الاسلام، بل يبقى المرجع الديني الرشيد هو قائد التحرك مستفيداً من هذه الطاقات بالطبع.

* * *

هذا بحث سريع وموجز عن المعالم الرئيسية لخط المرجعية.. بقي علينا أن نعرف: _

(التنظيم في ضوء خط المرجعية)

وهو ما يتناوله الفصل الثاني من هذه البحوث.

* * *

الفصل الثاني

التنظيم في ضوء
خط المرجعيّة

- التنظيم في الحوزة العلمية
- مجالات التنظيم في الحوزة
- التنظيم السياسي
- التنظيم في الأمة

لا يختلف اثنان في أن التنظيم (بمعناه العام) ضرورة لإتقان العمل.

سواء على مستوى العمل الفردي أو على مستوى العمل الجمعي.. وسواء في مجال العمل الاسلامي، أو مختلف الاعمال والنشاطات الأخرى.

واذا كان التنظيم محاولة في اتقان العمل ـ أي عمل كان ـ فهو اذن أمر قد دعت اليه الشريعة المقدسة حينما طلبت منّا الاتقان دائماً.

واذا كان حديثنا عن العمل الاسلامي بالخصوص أي النشاط المبذول لتعميق الوجود الاسلامي ونشره، أمكن أن ندرس التنظيم فيه مرة على صعيد الحوزات العلمية، ومرة على صعيد الأمة.

* * *

التنظيم في الحوزة العلمية

لم تشهد مراكز التعليم الديني ـ فيما سبق وخلال تاريخها الطويل ـ الاّ وضعاً تنظيمياً ضعيفاً للغاية، حتى ليمكن القول معه أنها

عاشت وضعاً غير تنظيمي تماماً أو بالاحرى انها عاشت نمطاً خاصاً من التنظيم يمكن أنْ نصطلح عليه بـ «التنظيم الذاتي».

فالدراسة فيها حرة، ومدة الدراسة أيضاً حرة، ولا توجد قيود لقبول أو رفض الطالب، وحتى تعيين الاستاذ لا يفرض على الطالب انما هو يختار الاستاذ الذي يشاء والوقت الذي يشاء. كما أن العمل التبليغي المتجه لارشاد الناس هو الاخر حرّ وحتى المرتبات الشهرية التي توزع على طلبة العلوم الدينية لم تكن لها ضوابط وموازين محددة.

الحوزة العلمية أشبه بـ (جامعة حرة) بمعنى الكلمة. نعم هناك قانون دراسي أخذ مجراه طبيعياً، وهناك عدة كتب دراسية فرضت نفسها تدريجياً، ومع ذلك فالطالب يجد نفسه في فسحة من ذلك كله لو شاء..

ولقد كان هناك تساؤل يقول: «أنه مع هذا الوضع الحر، ومع انعدام أي قانون، أي رقيب، كيف أمكن للدراسة العلمية في هذه المراكز أن تستمر بل تنمو وتتطور؟ وكيف استطاعت هذه المراكز أن تخرّج العلماء والعظماء والنوابغ؟ وكيف لم تتمزق وتنحل؟ وما هي الدوافع التي تدفع بطالب العلم الديني ـ في الغالب ـ الى التزام

المنهج الشائع والمرسوم، ومواصلة الدراسة خطوة فخطوة، كما لو كان هناك نظام مدرسي دقيق.

ومن ناحية أخرى: كيف استطاعت هذه المراكز العلمية أن تحصن نفسها عن تسلل النفعيين أو ذوي الاغراض المشبوهة، في وقت لا يوجد فيه قيد ولا شرط، ولا رقابة ولا محاسبة؟».

السيد الصدر أشار يوم سئل عن تفسير ذلك الى الحقيقة التالية[1]: «أنّ (الوازع الذاتي) و(الدافع الايماني) لدى طلاب العلوم الدينية و(الجو الديني) الذي تعيشه هذه المراكز العلمية هو الذي كفل لها استمراريتها وحفظ منهجها الدراسي، وحصّنها من تسلّل المشبوهين والنفعيين _ الى حد كبير _».

يمكن أن نشرح ذلك طويلا ويمكن أن نضيف اليه عوامل أخرى إلاّ أن ذلك ليس من مهمة حديثنا هذا.. انمّا الاهم هو السؤال المتعلق بتقييمنا لهذا الوضع العجيب!

لقد سئل بعض العلماء _ كما ينقلون _ عمّا إذا كان يجد ضرورة لتنظيم الحوزة العلمية فأجاب: «نظامنا اللانظام».

---

[1]. (ذكريات عن الشهيد الصدر) للمؤلف _ مخطوط.

وتمشيا مع هذا الجواب كان هناك تصور سائد يقول: إنّ أية محاولة لإضفاء طابع تنظيمي في هذه المراكز هي محاولة غير صحيحة وغير مجدية. بل أن أي تنظيم فيها هو مدعاة لخطر يحيق بهذه المراكز حيث لا يؤمَن أن يقف على رأس هذا التنظيم مهما كان حجمه وشكله من لا يوثق به ولا بتجربته، ويجر الحوزة العلمية _ بالتالي _ الى نتائج غير محمودة!

أما نحن فنرى أن هذا التصور فيه كثير من المغالاة _ رغم ما فيه من جوانب صحيحة _ فالتنظيم بمعناه اللغوي العام ضرورة، ويوماً بعد يوم ينكشف أن على الحوزات العلمية أن تبرمج وضعها وتكون بمستوى مسؤولياتها العالمية العظيمة وخصوصاً بعد أن تعيش الحوزة العلمية في ظل حكومة اسلامية لا يخشى منها على الوجود الحوزوي.

إنّ عليها أن تملأ كل الفراغات في الدراسات الاسلامية، في التفسير والتاريخ، والسيرة، والفلسفة، والكلام، والعقائد، والفقه، والاصول، والاخلاق، وغيرها، بل وأن تتصدى للنظر في عطاء العلوم الحديثة والاستفادة منها أو الرد على الخطأ فيها بما يتربط بالجوانب العقائدية والتشريعيّة في الاسلام. وأن عليها أن تعجِّل

خطوها في تخريج العلماء _ في كل تلك المجالات _ فلا يكفي الاعتماد على الصدف والاتفاقات، إنّ سعة الحاجة وسرعة الزمن لا يسمحان أبداً أن ننتظر في كل مائة عام مفسراً واحداً، أو فيلسوفاً واحداً، أو نقنع بعدد قليل من الكتّاب والخطباء ومعلمي الاخلاق.

ومن ناحية ثانية فالحوزات العلمية من أجل أن يكون حضورها حقيقيا وفعّالاً في الساحة يجب أن تنتشر في كل الآفاق ويصل علماء الدين الى كل المناطق، والى كل مركز تجمّع وهذا يدعو بالتأكيد الى برمجة العمل التبليغي من ناحية والدفع الحثيث نحو التبليغ من ناحية ثانية.

إحساساً بهذه الضرورة فقد توجهت الحوزات العلمية في السنوات الاخيرة الى الامام في عملية تنظيم وضعها.

لقد أصبح واضحاً انّ علينا البدء بعملية تنظيم، لكن مع تلافي الاخطاء ومع حدود معقولة ومناسبة من التنظيم يحافظ على كل ايجابيات الدراسة الحرة..

لكن ما هي الاطروحة المناسبة للتنظيم الحوزوي؟

مجالات التنظيم في الحوزة

هناك عدة مجالات يتعيّن على الحوزة العلمية أن تنظم حركتها فيها منها المجال العلمي والدراسي، ومنها المجال التبليغي في الأمة ومنها المجال الإداري لضبط وضعها الداخلي، ومنها المجال السياسي والاجتماعي لتطوير فاعليتها في قيادة حركة الأمة وتوجيهها. وفي كل هذه المجالات فانّ حركة الاصلاح والتنظيم الحوزوي يجب أن تكون مرتبطة بالمرجعيّة الدينيّة الرشيدة وتحت اشرافها المباشر.

وقد حاول استاذنا الاكبر السيد الشهيد الصدر في (اطروحة المرجعية الصالحة) أن يعطي الحوزة العلميّة أبعاداً حركيّة جديدة تنقذها من الحالة التي وصلت اليها ووجدنا المرجعية الرشيدة التي قادها الامام العظيم السيد الخميني كيف أعطتها زخماً حركياً جديداً جعلها تواكب حاجات الأمة وتتواصل معها.

ميزات التنظيم

هناك عدة ميزات لهذا التنظيم: ـ

الميزة الاولى: ـ يتصدى المرجع الديني، أو عدد من المراجع، أو عدد من الفقهاء ذوي الوجود الواسع في الأمة، للقيام بمهمة هذا العمل القيادي العظيم، بحيث يصبح المرجع أو المراجع محاور رئيسية

في الأمة تقودها في مسيرتها الجهادية والنضالية وتعمل على رفع مستواها في الوعي والثقافة الاسلامية وذلك من خلال سلسلة من المؤسسات الدينية التي تمتاز بالمرونة والقدرة على استيعاب مختلف القطعات في الأمة وتخلق المحاور المختلفة فيها.

الميزة الثانية: ــ ومن ناحية اخرى فانّ هذا التنظيم ليس تنظيماً سياسياً، على حد الاحزاب والتنظيمات السياسية، انّما هو تيار يتحرك على شكل محاور رئيسية. وقد تكون هذه المحاور شخصيات اسلامية كالعلماء أو مؤسسات علمية وثقافية واجتماعية كالمدارس والجمعيات أو مؤسسات سياسية ولكنها جميعاً تتحرك ضمن التيار وحول المحاور السياسية التي هي المرجع وغيره ممن يمثل خط المرجعية.

وتنظيم الحوزة الدينية يمثل جانباً من مهمة هذا الخط التنظيمي ومن هنا نجد أن هذه الاطروحة في التنظيم لا تهدف الى عزل طلبة العلوم الدينية عن مهمتهم الرسالية والسياسية معاً وانّما لا تريد أن تضعهم في اطار الاحزاب والتنظيمات السياسية.

الميزة الثالثة: ــ وتبعاً لذلك فان هذا التنظيم لا يعتمد نظام الخلايا والحلقات المتعارفة في الطار الحزبي.

إنما يدفع كل الأساتذة وفضلاء الحوزة العلمية بتوجيه طلاّبهم وتربيتهم، كما يدفع كل الطلاب لالتزام نصائح وتوجيهات الاساتذة الدينية والاخلاقية.

وكل هؤلاء وأولئك يستمدّون توجيههم من المراجع، وكبار الاستاذة في الحوزة العلمية. بحيث يصبحون مؤهلين لهذه العملية القيادية ويدخلون في عملية الصراع مع الكفر والطغيان والفساد والشهوات سواء في خارج ذات الانسان أو داخله وفي ظل النظام الاسلامي أو خارجه.

* * *

أما ما هي صيغة هذا التنظيم؟

لتنظيم حركة الحوزة العلمية في المجالات الاربعة السابقة فانّ الصيغة الطبيعية والمناسبة هي إحداث لجان مسؤولة يتحمل كل واحد منها جانباً من تلك الجوانب.

وفي هذا السياق تأتي عملية انشاء مدارس علمية تتخذ منها الدراسة وضعاً رتيباً ومنهجاً هادفاً الى وضع الاشخاص في موضعهم الطبيعي من العملية الرسالية وربما مدارس متخصصة لبعض الجوانب العلمية.

وهكذا أيضاً ضبط مقرات السكن لرعاية ورقابة وضع الطلبة الساكنين فيها ودرجة التزامهم، ووضعهم الاجتماعي والاخلاقي والجهادي والفكري.

لقد رأى السيد الصدر ــ تغمده الله برحمته الواسعة ــ أنّ من المهم انشاء عدة لجان:

«١ ــ لجنة أو لجان لتسيير الوضع الدراسي في الحوزة العلمية وهي تمارس تنظيم دراسة ما قبل الخارج والاشراف على دراسات الخارج وتحدد المواد الدراسية وتضع الكتب الدراسية وتجعل بالتدريج الدراسة الحوزوية بالمستوى الذي يتيح للحوزة المساهمة في تحقيق أهداف المرجعية الرسالية الصالحة.

٢ ــ لجنة للانتاج العلمي ووظائفها إيجاد دوائر علمية لممارسة البحوث ومتابعة سيرها والاشراف على الانتاج الحوزوي الصالح وتشجيعه ومتابعة الفكر العالمي بما يتصل بالاسلام والتوافر على إصدار شيء كمجلة أو غيرها والتفكير في جلب العناصر الكفوءة الى الحوزة أو التعاون معها إذا كانت في الخارج.

٣ _ لجنة أو لجان مسؤولة عن شؤون علماء المناطق المرتبطة بالمرجعية ومتابعة نشاطهم الفكري والثقافي وعلاقتهم بالامة وتحركهم ضمن الخط الاصيل للاسلام خط الجهاد والشهادة.

٤ _ لجنة الاتصالات وهي تسعى لايجاد الصلات مع المرجعية في المناطق التي لم تتصل بالمركز، ويدخل في مسؤوليتها إحصاء المناطق ودراسة امكانات الاتصال بها..

٥ _ لجنة رعاية العمل الاسلامي التي تمارس القيمومة على المؤسسات الاسلامية سواء كانت ضمن جهاز الدولة وخارجها.

٦ _ اللجنة الماليّة والتي تقوم برعاية مختلف الشؤون الماليّة لهذا التنظيم الواسع..».[١]

وفي وقته سعى السيد الشهيد رغم الظروف الخانقة التي كانت تعيشها حوزة النجف الاشرف للبدء بممارسة بسيطة من هذا القبيل نترك ذكرها الى مجال آخر[٢] ويمكن من خلال ملاحظة المؤسسات السياسية والثقافية والعلمية التي أوجدتها المرجعية الدينية الرشيدة في الجمهورية الاسلامية وإحيائها للمؤسسات التي أوجدها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله كصلاة الجمعة وتحويل المساجد الى

---

[١]. من (اطروحة المرجعية الصالحة) بقلم الشهيد الصدر.
[٢]. راجع ما كتبناه في (الجهاد السياسي للسيد الصدر).

خنادق حقيقية للدفاع عن الاسلام، ورعاية شؤون الأمة وكذلك المؤسسات الثورية كاللجان الثورية الاسلامية وحرس الثورة الاسلامية وجهاد البناء وجماعة المدرسين في قم وجماعة العلماء المجاهدين وغيرها يمكن من خلال هذه الملاحظة أن نتعرف على الدور المهم لهذا التنظيم في مجال الحوزة العلميّة.

كما أنّ المرجعية الدينية تتحمل وفقاً لهذا المنهج مسؤولية الرعاية الخاصة لكافة الانشطة الثقافية والسياسية لمختلف المجموعات والحركات الثقافية والسياسية في الأمة وتعمل على توجيهيها وترشيد حركتها وتسديد مواقفها.

* * *

التنظيم السياسي

تسعى بعض التنظيمات السياسية الاسلامية الى الامتداد في وسط الحوزة العلمية وربط أفرادها بقيادة تلك التنظيمات، كيما تتم عملية التوجيه الثقافي والسياسي والاجتماعي عبر تلك التنظيمات وقيادتها بدلاً من المرجعية الدينية لاعتبارات وملاحظات سبقت الاشارة اليها.

ما هو موقف خط المرجعية في هذا الموضوع؟

في ضوء (خط المرجعية) هناك أمور أساسية يجب الحفاظ والحرص عليها، ومن خلال هذه الامور نريد التعرف على العلاقة بين خط المرجعية وبين التنظيم الحزبي في داخل الحوزة العلمية.

١ _ يحرص خط المرجعية على أن لا تقع الحوزة العلمية تحت هيمنة أو تأثير الخطوط الحزبيّة.[١]

٢ _ المحافظة على الانقياد التام للمرجعية الرشيدة، وعدم التنافس معها، فطالب العلم الديني يتلقّى خطه وتوجهه من المرجعية الصالحة الرشيدة، ويرى أبوّتها وقيمومتها على كل الحركات، وكل التشكيلات والتنظيمات.

٣ _ كما أن طالب العلم الديني يجب أن يحافظ في تحركه بين الجماهير على أبوته الحقيقية التي تتسع لكل الأمة، ولكل العاملين فيها.

العالم الديني يستطيع التعامل مع الأمة والدخول اليها من الباب الوسيع الذي يمكنّه ويفتح له أكبر وأوسع أرضية صالحة للعمل، وأعلى درجة من الثقة في نفوس الناس، وهذا بخلاف ما إذا تحرك العالم الديني ضمن الاطار الحزبي.

---

[١]. انظر في الفصل السابق من هذا الكتاب _ (معالم خط المرجعية).

٤ ــ ويحرص العالم الديني على ربط الشعب بالمرجعية الدينية الرشيدة، ويوجّه الأمة كلها، وكل العاملين معه بهذا الاتجاه، يستوي في ذلك عنده الداخل في إطار تنظيمي أو غيره من الناس.

* * *

إنّ (خط المرجعية) يؤكد على هذه النقاط الاربع كشروط أساسية يتحتم على كل علماء الدين وطلبة العلوم الدينية المحافظة عليها، وقد أكدها الشهيد السعيد السيد الصدر (رضوان الله تعالى عليه) مراراً لتلامذته وطلبته، ولا أحسب أنها تحتاج الى مزيد من شرح وتوضيح.

والآن وفي ظل هذه النقاط الاربع هل تستطيع الحوزة العلمية أن تفتح أبوابها للتنظيم الحزبي وتحتفظ مع ذلك بتلك الشروط الاساسية؟

وهل يستطيع الشخص المرتبط بالحزب أن لا يتأثر بالافق الحزبي؟ ولا يحكمه في تقييم المواقف، والاشخاص، بل وتقييم الفقهاء والمراجع أنفسهم من خلال رؤية حزبية؟

إنّ ذلك أمر غير مستحيل، لكنه من الصعوبة بمكان بالغ، حتى لنستطيع القول أن تاريخ الاحزاب يدلل على خلافه.

وهذا هو ما دعا استاذنا الامام الصدر الى منع كل محبيه والمؤمنين بخطه من أبناء الحوزة العلميّة، وكل طلبة العلوم الدينية وأساتذتها عن الانتماء الحزبي. مهما يكن اسلامياً ونزيهاً ومخلصا..

فقد لاحظ رحمه الله أن السماح بذلك يخلّ عملياً بالشروط الاربعة التي يجب الحفاظ عليها أكيدا، وكانت له في ذلك أحاديث ومباحثات طويلة.[١]

نعم، قد يكون من المستحسن أن يكون لبعض علماء الدين دور قيادي في الاحزاب الاسلامية يضمن لها بقاءها ضمن الخط السياسي الصحيح وارتباطها بالمرجعية الرشيدة وولاية الفقيه، وهذا شئ لا يعني وقوع المرجعية الدينية تحت تأثير التيار الحزبي بل وقوع الحزب تحت تأثير القيادة المرجعية كما سنعرف ذلك قريبا.

والى هنا نكون قد أوجزنا رؤيتنا عن التنظيم في الحوزة العلميّة.

التنظيم في الأمة

[١]. ندعو القارئ لمراجعة (دور علماء الدين في ضوء خط المرجعية) الفصل الثالث من هذا الكتاب.. ونذكر في الملحق نص الحكم الذي أصدره السيد الشهيد بهذا الشأن..

في عين الوقت الذي يؤكد (خط المرجعية) على أن تسير الأمة كلها في صفوف (حزب الله)، وفي عين الوقت الذي يؤكد فيه على أن العمل الاسلامي أوسع من الاطار الحزبي ولا ينحصر فيه.

في عين الوقت فانّ (خط المرجعية) لا يفترض أن تبقى الأمة في حالة من الفوضى، ولا يعني أبداً أن يعمل كل انسان بطريقة فردية، ارتجالية، بعيدة عن جهود الآخرين والاشتراك والتشاور معهم.

إنّ توزيع المهام، وتنسيق الاعمال، وتنظيم النشاطات ضرورة في نجاح أي عمل مطلوب.

أما أشكال التنظيم فهي متعددة: أحزاب، أو منظمات، أو اتحادات ونقابات، أو هيئات وجمعيات وهكذا النظام المدرسي، والنظام العسكري هذه كلها صور للتنظيم. والامة عموما لا تستغني عنها بشكل عام، وخط المرجعية لا يرفض واحداً من هذه الاشكال، كما لا يعيّن واحداً منها.

الاستراتيجيّة الصحيحة

نعم، انّ خط المرجعية يضع استراتيجيّة خاصة للتنظيم، وبالخصوص التنظيمات السياسية (الاحزاب والمنظمات).

هذه الاستراتيجيّة هي الشرط في صحة التنظيم السياسي حينما يريد السير على خط المرجعية وبدون الحفاظ على هذه الاستراتيجيّة فانّ التنظيم سيخلق من المضاعفات والسلبيات أكبر مما يحققه من دور ايجابي.

يمكن تلخيص هذه الاستراتيجيّة في نقطتين: _

١ _ مسألة القيادة:

يتم بناء الاشخاص في داخل التنظيم _ وفقا للاستراتيجيّة الصحيحة _ على أساس أن القيادة للمرجعية الرشيدة النائبة عن امام العصر الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف من حيث أن: «المرجعية الرشيدة هي المعبر الشرعي عن الاسلام، والمرجع هو النائب العام عن الامام من الناحية الشرعية».[١]

وعلى هذا الاساس يكون التنظيم أداة بيد المرجعية الرشيدة، وليس قيادة منافسة لقيادتها على مختلف الاصعدة في ساحة الأمة.[٢]

---

[١]. لمحة فقهية (للسيد الصدر) ص ١٤.
[٢]. انظر (معالم خط المرجعية) الفصل السابق.

وعلى ذلك فانّ المجموعات الملتزمة بالتنظيم تستمد شرعية عملها من المرجعية الرشيدة وترى أنها هي القيّمة عليها، وليست الكوادر القيادية في التنظيم. بل هذه الكوادر القيادية نفسها تنظر الى المرجعية الرشيدة بوصفها الولي الشرعي عليها والراد عليها كالراد على الله كما جاء في الحديث الشريف.

وهذا يعني أنّ العامل في الحقل التنظيمي لا يتخذ من أشخاص القيادة ومسؤولي الحلقات ولا الاطار التنظيمي نفسه ضرورة لا يرى الاسلام الاّ من خلاله، ولا يعرف مصالح الاسلام الاّ من زاويته، ولا عملاً مخلصاً ولا ثواباً إلهيّاً إلاّ في دائرة التنظيم.

٢ ـ الروحية العامة:

والنقطة الثانية في الاستراتيجية الصحيحة للعمل التنظيمي هي أن تكون الروحية العامة للأفراد هي الشعور بالانتماء الحقيقي للاسلام والنظر الى الانتماء للتنظيم على أنه وسيلة وليس هدفاً وغاية حقيقية.

فانّ تربية الافراد داخل التنظيم على هذه الروحية العامة تمثل الضمانة الوحيدة لعدم الوقوع في مرض الاستعلاء على الآخرين،

وهكذا مرض احتكار العمل الاّ من قناة التنظيم فقط. هذه الامراض التي تحوّل ايجابيات التنظيم الى سلبيات، وتجر بالحركة التنظيمية كلها الى الاخفاق والفشل في تحقيق أهدافها الاسلامية.

إذن الافضلية داخل مراتب التنظيم ليست بالرتبة الحزبيّة، انّما بدرجة التقوى، والكفاءة، والجهد وهكذا الافضلية على الآخرين خارج الاطار التنظيمي وليست بمجرد انتماء هذا الى التنظيم وعدم انتماء ذلك، انما الافضلية لها مقاييس ثابتة هي التقوى، والكفاءة، والجهاد يستوي في ذلك جميع العاملين، ويستوي في ذلك أبناء مختلف الحركات التنظيميّة.

وعلى ذلك فالاستراتيجية الصحيحة للتنظيم تبتني على الايمان بأن الأمة أكبر من الاطار الخاص للتنظيم، كما أن العمل الاسلامي هو الآخر أكبر من هذا الاطار بخصوصه، والانتماء الى هذا التنظيم أو ذلك ليس واحداً من مقاييس الفضل والتفاضل. وفوق كل ذلك فانّ القيادة ليست للتنظيم إنما هي للمرجعية الدينية الصالحة.

الخط الحزبي: ــ

شرحنا لحد الآن استراتيجية التنظيم في ضوء خط المرجعية. والذي قد نجد شاهداً له في الوقت الحاضر الحزب الجهوري في الجمهورية الاسلامية في ايران.[١]

وفي قبال ذلك يوجد بناء آخر للتنظيم، هو ما نصطلح عليه بـ (الخط الحزبي) الذي قد تتبنّاه بعض الاحزاب الاسلامية.

أمّا استراتيجية هذا الخط فتبتني على ما يلي: ــ

١ ــ المرجعية دور تكميلي

ينظر الخط الحزبي للمرجعية الدينية لا بوصفها القيادة الحقيقية للامة، بل بوصفها ذات دور ثانوي وتكميلي، بينما يقوم الحزب بدور القيادة الحقيقيّة، والتحريك الفعلي للساحة.

«إنّ المرجعية ما لم تكن تنظيماً حزبياً أو مستندة الى تنظيم حزبي فليس باستطاعتها أن تكوّن جهازاً ومؤسسة تحافظ على فاعليتها وجمهورها مع تبدّل شخص المرجع. هذه الامور تجعل حركة المرجعية

---

[١]. دعا الامام الخميني رحمه الله الى تجميده بعد اقتراح قدمته قيادة الحزب ــ المؤلف.

في أحسن حالاتها حركة اصلاحية تبذل جهدها في بناء نفسها وفي توعية الأمة عامة متحاشية تبعات التغيير، وطريق ذات الشوكة».[١]

وانطلاقاً من ذلك فانّ الخط الحزبي يسعى لربط الشعب بالحزب ربطاً محكماً، بينما يكون ارتباطه بالمرجع الديني ارتباطا شكليا، فالانقياد للحزب وليس للمرجع والتوجه هو ما يمليه الحزب لا ما يمليه المرجع.

وينعكس هذا على الموقف من كل علماء الدين، وطلبة العلوم الدينية، فالحزب هو القائد، هو الموجّه الحقيقي، بينما هؤلاء هم الاطار والغطاء الذي يتحرك تحته التنظيم.

وبشكل عام: _ «أنّ هذه المؤسسات كنشاط المساجد والمكتبات والجمعيات والمدارس والمؤسسات والمؤلفات، تصلح أن تكون واجهات للعمل التنظيمي التغييري لا أن تكون بديلا».[٢]

٢ _ شرعية العمل لا تستمد من المرجعية

وطالما لا يقبل الخط الحزبي بقيادة المرجعية وقيمومتها على العمل الاسلامي، اذن من أين يستمد شرعية العمل!؟

وبماذا يبرر مخالفته للمرجعية الرشيدة وخروجه عليها أحياناً؟

---

[١]. انظر العمل الحزبي ص ٥٤ (منشورات حزب الدعوة الاسلامية).
[٢]. المصدر السابق ص ٥٣.

يحاول الخط الحزبي أن يسلك أحد الطريقين في الاجابة على ذلك:

الاول: انكار مبدأ (ولاية الفقيه) فانه بسقوط هذا المبدأ لا يبقى أي معنى لقيادة المرجعية الدينية، وقيمومتها على العمل الاسلامي.

الثاني: القبول _ صورياً _ بمبدأ ولاية الفقيه ولكن أي فقيه؟ وبأية حدود؟

الفقيه الذي يسير باتجاه الحزب، وطالما كان متوافقاً معه! وحتى هذا لا يستطيع أن يمارس ولايته الحقيقية على الحزب، اذ سرعان ما يتم العدول عنه الى فقيه آخر ما يزال سائراً باتجاه الحزب.

وهكذا فانّ (الخط الحزبي) لا يرى من اللازم _ لصحة عمله شرعاً _ تأييد المرجعية الدينية له، بل يكفي وجود فقيه واحد يؤيده ويمضيه ويسبغ عليه الشرعية، حتى وإنْ خالف بذلك المرجعية الدينية.

من المناسب أن نستعرض ما نشر في كراس (العمل الحزبي)، فقد استعرض الآراء في العلاقة بين المرجعية وبين العمل الحزبي، ثم ناقشها قائلا: «ومنهم القائلون: بأن العمل الحزبي للاسلام يجب أن يكون

بقيادة الفقيه الذي بلغ رتبة الاجتهاد أو بارادته ورأيه لأن له الولاية العامة على المسلمين.»

«وجواب هذه الشبهة: أن الولاية العامة للمجتهد لا تختص بالأعلم بل تشمل كل مجتهد، فاذا وجد في قيادة العمل الحزبي مجتهد يكون العمل نافذاً ولا يقدح فيه بعد ذلك إعمال الولاية من مجتهد آخر. لأن إعمال الولاية المتأخر لا ينقض الإعمال المتقدم من مجتهد آخر».[١]

بل لا يستعصي على الخط الحزبي أن يخالف حتى هذا المجتهد كما شرحنا.

من هنا كان إيمان الخط الحزبي بولاية الفقيه إيماناً صورياً محضاً.

٣ _ قدسية التنظيم

ومن أجل أن يحكم (الخط الحزبي) سيطرته على قواعده، بل يحاول أن يفرض قيمومته وولايته على كل الساحة، وكل العاملين يلجأ الى إسباغ هالة من القدسية على التنظيم، ويحوّله من وسيلة الى هدف بذاته، ومن أداة الى غاية.

---

[١]. المصدر السابق ص ٥٤ _ ٥٥.

حتى لتكون المصلحة الاسلامية محصورة في داخل التنظيم، وصيانة الفقيه الولي من الانحراف والخطأ محصورة في داخل التنظيم، والنجاح محصور في داخل التنظيم، والاخلاص محصور في داخل التنظيم، وهكذا الوعي، والتقوى، والنضج السياسي كله في داخل التنظيم.

وبعبارة أخرى جامعة: _ «إنّ تطبيق أحكام الاسلام منحصر بالعمل التنظيمي الحزبي».[١]

ويصبح التنظيم أشبه بذات مقدسة، ومعصومة لا يمكن الخروج عنها.

هذه ملامح ثلاثة لـ (الخط الحزبي).

وطبيعي انه في ضوء هذه الملامح يمثل انحرافاً وانزلاقاً خطيراً.

إن الاحزاب الاسلامية ليست بالضرورة مدفوعة للسير بهذا الخط، انّها رغم محافظتها على إطارها الحزبي تستطيع السير على (خط المرجعية) وفقا للاستراتيجية الصحيحة التي يفرضها هذا الخط.

والحمد لله أولاً وآخراً ومنه نستمد التوفيق والتسديد وله الشكر...

---

[١]. انظر العمل الحزبي ص ٥٢.

* * *

ملحق

نص الحكم الذي أصدره السيد
الشهيد الصدر جواباً على
سؤال وجّه له

السؤال:

* سماحة آية الله العظمى الامام السيد مُحَمَّد باقر الصدر (دام ظله) بعد الدعاء لسيدي بمزيد من التأييد والتسديد أرجو التفضل بالجواب على السؤال التالي:

ما هو راي سماحتكم في موقف الحوزة العلمية تجاه الاحزاب السياسية الدينية كحزب الدعوة وغيره فهل يجوز الانتماء اليها أو لا؟ أفتونا مأجورين.

*** السيد حسين السيد مُحَمَّد هادي الصدر ***

الجواب:

* لا يجوز ذلك لأننا لا نسمح بشئ من هذا القبيل، وقد ذكرنا رأينا هذا مراراً إذ أوضحنا أن طالب العلم الديني وظيفته أن يعظ ويرشد ويعلّم الاحكام الشرعية بالطريقة الواضحة المألوفة بين العلماء.. ومن الله نستمد الاعتصام وهو ولي التوفيق.

١ / شعبان / ١٣٩٤

مُحَمَّد باقر الصدر

الفصل الثالث

علماء الدين في ضوء

خط المرجعية

- النظرية
- تقييم دور علماء الدين
- المبررات العلمية للأطروحة
- أسلوب العمل

تحدثنا في الفصلين السابقين عن «معالم خط المرجعية» وعن «التنظيم في ضوء خط المرجعية». وربما استطاع القارئ أن يستكشف من ذينك البحثين ما هو دور العلماء عموماً _ فقهاء وغير فقهاء _ وطريقة عملهم.. والعلاقة المتبادلة بين الأمة وبينهم ومع ذلك فقد رأينا أن نفرد لهذا الموضوع فصلاً مستقلاً نراعي فيه _ على طريقتنا في البحثين السابقين _ الدقة العلمية من ناحية ومستوى عامة القراء من ناحية أخرى.

* * *

النظرية

يرتبط البحث عن دور علماء الدين عموماً _ من المرجع الأعلى الى سائر الفقهاء ثم الى طلبة العلوم الدينية كافة _ بنظرية خط المرجعية في (ولاية الفقيه).[1]

[1]. ولاية الفقيه تعني قيادة وحاكمية الفقيه.

طبعاً يعتبر مبدأ (ولاية الفقيه) ركيزة أساسية يعتمد عليها خط المرجعية. لكن علينا أن نستوعب أبعاد هذا المبدأ، ومداه الفقهي والسياسي، وبذلك نكون قد استوعبنا المبدأ كاملاً ومن جوانبه المختلفة.

تتلخص النظرية في النقاط الثلاث الآتية: _

النقطة الاولى: _ الولاية الدينية والسياسية:

الفقيه لا يمارس فقط ولاية دينية في مجال التعريف بأحكام الشريعة، إنما يمارس أيضاً ولاية سياسية في تعريف الأمة بالاتجاه السياسي الصحيح أو الافضل... وحسب الاصطلاح المتعارف الفقيه له (السلطة الروحية والزمنية) حيث يقصد بالاولى الولاية في مجال الأحكام الشرعية، وبالثانية الولاية في المجال السياسي والذي يختلف فيه الموقف من زمن الى زمن آخر، ومن هنا عبّر عنها بـ (السلطة الزمنية) التي تستوعب مختلف الظروف والازمنة.

وعلى أيّ حال فان الفقيه يمارس دوره القيادي في كلا هذين المجالين، انطلاقاً من مفاد أدلة ولاية الفقيه المتعددة التي تفيد أن:

«الفقهاء امناء الرسل».

و«الراد عليه كالراد على الله».

و«مجاري الامور والاحكام على أيدي العلماء».

و«المؤمنون الفقهاء حصون الاسلام».

و«أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله على الناس».[١]

النقطة الثانية: _ قيادة فعلية وليست أبوّة مجرّدة:

وقيادة الفقيه ليست نظراً من بعيد، وإشرافاً فوقياً، إنما ممارسة حية يباشرها الفقيه، فهو يوجّه سياسة الدولة في فرض قيام الدولة الاسلامية. ويرسم مراحل العمل الاسلامي في الأمة قبل قيام الدولة، وهكذا يمارس ويباشر كل ما تتطلبه القيادة لا بمعنى أنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة، وانه يباشر كل المهام بنفسه بل بمعنى مباشرة الدور القيادي في الساحة كما باشره الرسول صلى الله عليه وآله والامام أمير المؤمنين عليه السلام وهذا هو البعد الحقيقي لولاية الفقيه، لا أن تكون هناك قيادة أخرى هي التي تباشر المهام القيادية وترسم سياسة الدولة، وتحدد مراحل الأمة ومواقفها، ولا يكون الفقيه الاّ مجرد

---

[١]. مجموعة هذه الاحاديث الشريفة الواردة عن المعصومين عرضها وناقشها الامام الخميني في كتابه الحكومة الاسلامية فراجع.

مستشار فيما يحل ويحرم من تلك السياسات والمواقف، وولاية الفقيه «انما يحتاج اليها في رفع بعض أحكام الحرمة التي تحتاجها ادارة شؤون المسلمين».[١]

إنّ أحاديث مبدأ ولاية الفقيه تؤكد البعد الذي ذكرناه، وبدون ذلك فان ولاية الفقيه لا تعني إلاّ شيئاً أجوفاً.

النقطة الثالثة: _ قيمومة كل العلماء:

ينبثق عن مبدأ ولاية الفقيه أطروحة سياسية للعمل الاسلامي، وهي: «اعطاء مراكز العالِمية من المرجع الى أدنى مراتب العلماء الصفة القيادية للامة بتبنّي مصالحها والاهتمام بقضايا الناس ورعايتها واحتضان العاملين في سبيل الاسلام».[٢]

فالفقيه المرجع يمارس قيادة الأمة والدولة في مركز، امّا عموم العلماء، ووكلاء المرجع في المناطق، وعموم المبلغين في انحاء البلاد، وأئمة الجماعة والجمعة المرتبطين بالمركز العلمي أو بالمرجع الديني مباشرة، هؤلاء جميعاً أيضاً يمارسون القيمومة على العمل الاسلامي، وتوجيه الأمة وقيادتها، كل في منطقته.

---

[١]. ثقافة الدعوة _ الجزء الثالث _ ٣٤٨ _ منشورات حزب الدعوة الاسلاميّة.
[٢]. من (اطروحة المرجعية الصالحة) بقلم استاذنا الشهيد الصدر رحمه الله.

وبالطبع فان هؤلاء يستمدون التوجيه من المرجعية الدينية مباشرة، أو اللجنة المشرفة على العمل التبليغي والمتواجدة في المركز العلمي، أو جماعة العلماء والاساتذة الموجودين في المركز العلمي أيضاً.[١]

وبشكل عام كما أن الفقيه لم يكن مجرد أب روحي أو ناظر من بعيد، بل يمارس القيمومة والقيادة والتوجيه، هكذا كل العلماء والمبلغين الموزعين في أنحاء البلاد، والمتواجدين في صفوف الأمة بشكل وآخر من أشكال التواجد، هؤلاء جميعاً يمارسون القيمومة على العمل الاسلامي، ويحملون الصفة القيادية للامة وليسوا مجرد وعّاظ، وأئمة جمعة أو جماعة فقط.

إنّ هذه الاطروحة في العمل الاسلامي التي يمكن رسمها بـ (الفقيه المرجع + كل علماء الدين) هي نتاج طبيعي لمبدأ ولاية الفقيه، كما يفهمه خط المرجعية.

وفي هذا كتب السيد الشهيد الصدر قدس سره:

«وحينما وضعت الشريعة الاجتهاد والتقليد كمبدئين مستمرين مادام الكتاب والسنّة وفرضت المجتهد محوراً ومرجعاً للآخرين في

---

[١]. كما هو حادث فعلاً في جمهورية ايران الاسلامية حيث يوجد (جماعة المدرسين) في قم ومثله في طهران كما يوجد مكتب التبليغ الاسلامي في قم وطهران وفروعه.

شؤون دينهم استعملت كل الاساليب الكفيلة بانجاح هذين المبدئين..فمن ناحية أوجبت الاجتهاد.. ومن ناحية أخرى: حثّت على التمسك بالعلماء، والسؤال منهم.. وقدّمتهم الى الناس بوصفهم ورثة للانبياء...».[١]

* * *

تقييم دور علماء الدين

إنّ أطروحة العمل الاسلامي حينما تعطي لعلماء الدين الصفة القيادية للامة، فذاك بعيد جداً عن الطبقية والمفهوم الطبقي.

فالفكر الاسلامي أساساً يرفض رفضاً قاطعاً الطبقيّة، وكل مفهوم منتزع عنها فالتفاضل عند الله يبتني على ميزان موحد يخضع له كل البشر هو ميزان التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

كما أن المسؤوليات والمواقع والانساب في هذه الدنيا أيضاً تخضع لميزان موحد بعيد عن كل نزعة طبقية وهو ميزان الكفاءة والجهد والسعي نحو الاهداف بالمعنى الواسع لذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾.[٢]

---

[١]. الفتاوى الواضحة / للسيد الصدر / ص ٩٢ _ ٩٣.
[٢]. سورة آل عمران _ ٦٨.

إذن من الحق أن نطرح السؤال التالي:

ماذا تعني قيمومة علماء الدين على الأمة وعلى العمل الاسلامي؟

باعتقادي أنّ الاجابة المفصلة عن هذا السؤال، والفهم الشامل لأطروحة (قيمومة علماء الدين) أمرٌ لا يتسع له الحديث السريع المبّسط وأرجو أن ابحثه _ ان شاء الله تعالى _ لدى دراسة (اطروحة نظام الحكم في الاسلام) في كتاب مستقل[١] امّا هنا فاكتفي بالاشارة السريعة.

إنّ قيمومة علماء الدين لا نعني بها انّ كل واحد من هؤلاء العلماء والمبلغين على اختلاف مستوياتهم، له ولاية كولاية الفقيه حتى يكون الراد عليه كالراد على الله.

إنها ليست قيمومة إلزاميّة بحيث لا يمكن للناس عموماً، ولا للعاملين الاسلاميين بالخصوص أن يخالفوا رأى عالمهم.

إنما هي (اطروحة في طريقة العمل الاسلامي) تنسجم تماماً مع مبدأ ولاية الفقيه، وتتفق مع ميزان الشريعة الاسلامية ووصاياها في

[١]. صدر هذا الكتاب تحت عنوان «المذهب السياسي في الاسلام» _ المؤلف.

تكريم العلماء، والسؤال منهم، والاستماع اليهم، والحضور في مجالسهم.

إنها إذن ليست ولاية شرعية..

إنما هي (إسلوب في العمل الاجتماعي الاسلامي) يتبناه خط المرجعية باعتباره الاسلوب الانجح عملياً، والمتوافق مع توصيات الشريعة ومجمل تعاليمها في العلم والعلماء.

سنذكر هنا نموذجاً من تلك التوصيات الشريفة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«لا خير في العيش إلا لرجلين عالم مطاع، أو مستمع واع».

وفي حديث قدسي عن الامام علي بن الحسين عليه السلام:

«إنّ أحبّ عبيدي اليّ التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه، واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم عليهم جميعاً وخصّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول: قال فلان وقال فلان خلافا لقوله، ولا تضجر

بطول صحبته فانما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها حتى يسقط عليك منها شيء».[١]

إنّ مجموع هذه التوصيات واضحة جداً في أنّ الشريعة الاسلامية أعطت للعلماء الصالحين صفة القيمومة على العمل الاسلامي، وعلى توجهات الأمة الاسلامية.

ومن ناحية ثانية فهي ليست استبداداً وتحكماً، بل هي خدمة، واخلاص، واحتضان للعمل والعاملين، وقد يكون في التعبير عن هذا المعنى بكلمة قيمومة شيئاً من المسامحة أو عدم الدقّة.

في حديث الامام الصادق عليه السلام:

«اطلبوا العلم، وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم».[٢]

إنّ قيمومة علماء الدين على الأمة تعني:

«تبنّي مصالحها، والاهتمام بقضايا الناس، ورعايتها واحتضان العاملين في سبيل الاسلام».[١]

---

[١]. هذه الاحاديث الشريفة تجدها على كثرتها في (اصول الكافي) الجزء الاول _ كتاب فضل العلم وقد جمع كتاب (بحار الانوار) للعلامة المجلسي أضعافاً مضاعفة منها.

[٢]. أصول الكافي ج ١ باب صفة العلماء.

وهي قيمومة _ انْ صح التعبير _ تكلّف العالم الديني السهر في خدمة الأمة، وحمل همومها ومتابعة الصغيرة والكبيرة من شؤون العمل والعاملين، بل وكل المؤمنين.

والعالم الديني لا يرجو من وراء هذه القيمومة جاها، ولا مالا، ولا استعلاءً على الآخرين، بل يتحمل من أجل الناس ومن أجل العمل ما لا يتحمله غيره من المشاق، والمتاعب، والجهد ولا يرجو في ذلك الا رضى الله تعالى.

ومن ناحية ثالثة فهي قيمومة ليست مفروضة من أعلى، يرغم عليها الناس، انما هي قيمومة يكسبها العالم الديني بمقدار ما يبرهن للناس عن صدقه، وإخلاصه، وكفاءته.

الناس أنفسهم هم الذين يمنحون العالم ولاءهم، ووفاءهم، حينما يجدون فيه المربي، والمرشد، والناصح لهم والمدافع عن الاسلام والمظلومين.

إنّ قيمومة العالم على الناس تناط بمقدار خدمته للناس، ومحبتهم له، ومن هنا فهي قيمومة نابعة منهم لا مفروضة عليهم، وهي أبوة اختاروها لأنفسهم ولم يرغموا عليها.

---

[1]. من (اطروحة المرجعية الصالحة) للسيد الصدر قدس سره.

نستطيع أنْ نخلص الى هذه النتيجة:

أنّ قيمومة علماء الدين _ ممّن لم يصلوا الى مستوى الفقاهة والاجتهاد _ ليست ولاية شرعية كما هي ولاية الفقيه المجتهد، ولا تحكماً واستبداداً، كما ليست مفروضة على الناس فرضاً وانما هي تواصل مع ولاية الفقيه وترشيد الأمة للارتباط به ومدّ الجسور بينهم وبينه.

وقد ندّد القرآن الكريم بالوصاية التي وضعها الاحبار والقسس على الناس، فاستخدموا الناس وتسلطوا عليهم وجعلوا مقامهم العلمي وسيلة لاستعباد الناس وامتصاص ثرواتهم، كما ندّد القرآن الكريم بأولئك الذين باعوا أنفسهم لهؤلاء الاحبار والقسس.

قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.[1]

أما عن الطبقية فيجب أن يكون واضحاً أن علماء الدين لا يمثلون طبقة متميزة، ذات خصائص منحتها لهم القدرة الالهية دون سائر الناس.

---

[1]. سورة التوبة _ ٣١.

إنّ علماء الدين هم ناس من هؤلاء الناس فرّغوا أنفسهم للاضطلاع بمهام الرسالة، وحمل أمانتها وضبط أصولها وأحكامها كاملة، وبوسع أي واحد أن يلتحق بالحوزات العلمية، ويختار لنفسه ولحياته سلوك هذا الطريق المبارك. فالحوزة العلمية ليست وقفاً على أحد، وليست من ممتلكات أحد.

والشريعة الاسلامية تعطي للعالم الديني قيمة بمقدار ما يعطي هو من عمره، وجهده للاسلام، وبمقدار ما يتطابق عمله مع علمه.

في حديث عن الامام الصادق عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾. قال: ــ يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله، ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم.[1]

وملاحظة أخيرة تجدر الاشارة اليها، هي أنّ الأمة بدورها تراقب هؤلاء العلماء وتنتظر مدى التزامهم، واخلاصهم، وهي مسؤولة عن هذه المراقبة والمحاسبة.

في حديث عن الامام الصادق عليه السلام: «اذا رأيتم العالِمَ محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فان كل محبٍ لشئ يحوط ما أحب».[2]

---

[1]. أصول الكافي ــ ج١ ــ باب صفة العلماء ــ حديث ٢.
[2]. أصول الكافي ــ ج١ ــ باب المستأكل بعلمه ــ حديث ٤.

وأوضح ما يعبّر عن هذه الحقيقة هي اشتراط العدالة في امام الجماعة، فلا يجوز الائتمام إلا خلف من يوثق بدينه، ومعنى ذلك أنّ الأمة لا تنقاد الا لمن خبرته وعرفته واطمأنت الى عدالته وورعه وتقواه.

* * *

المبررات العلمية للاطروحة

لماذا (قيمومة علماء الدين)؟

وما هي المبررات العلمية لهذه الاطروحة؟

أمّا أصل حاجة الأمة الى قيّم يشرف عليها ويوجهها فذاك أمر يترك الحديث عنه الى كتابنا (المذهب السياسي في الاسلام) واليوم يتفق علماء الاجتماع والسياسة على أن المجتمع البشري يحتاج الى هذه القيمومة ولا يستغني عنها.

وانْ اختلفوا في صاحب هذه القيمومة من هو؟

الطبقة المثقّفة أم الأحزاب أم رجال الكنيسة أم أصحاب الثروات...؟

أمّا (خط المرجعية) انبثاقا من مبدأ ولاية الفقيه، ومن مجمل توصيات الشريعة الاسلامية في العالم والعلماء فانه يرى (قيمومة

علماء الدين) بالملاحظات التي شرحناها آنفا ومن هنا نرجع الى السؤال عن تفسير ذلك.

يمكن أن ننتبه الى عاملين في قيمومة علماء الدين أحدهما البعد الديني والآخر البعد الاجتماعي.

١ ـ البعد الديني للعلماء:

كما هو معلوم فان الشريعة الاسلامية تهدف الى بناء (المجتمع المتديّن).

وواضح أن (علماء الدين) هم أقدر الناس على تحقيق هذا الهدف، فهم من الناحية العلمية أصحاب تخصص في العلوم الدينية وهم ـ حسب توصيات الشريعة ـ يعكسون علومهم على سلوكهم. ومن هنا فهم أبعد عن الانحراف بالتيارات الحضارية المختلفة.

إنهم يفهمون الشريعة من مصادرها الاساسية وهم بوصفهم حملة علوم القرآن والسنّة يجعلون من أنفسهم قدوة حسنة للآخرين «حتى ليكون تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه» كما ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام.[١]

[١]. نهج البلاغة ـ القسم الثالث ـ المقال ٧٣.

٢ _ البعد الاجتماعي للعلماء:

ومن ناحية علمية فإنّ علماء الدين أقدر على قيادة الأمة وتوجيهها.

فهم من ناحية يتمتعون بثقة الأمة، ونظرتها الوديّة من خلال التاريخ الطويل الذي برهن فيه علماء الدين على إخلاصهم، ونقائهم، وتحدّيهم لتحمل المسؤوليّات، وصدقهم في انقاذ الأمة وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

والامة تعرف هذا التاريخ المليء بالاتعاب والجهود الذي رسمه علماء الدين بالقلم وبالدم معا، ومن ناحية أخرى فانّ العلماء يعيشون في قلبها، والروابط بينهم وبين الناس روابط يومية، وأواصر قوية.

وهم في جسم الأمة يمثلون ظاهرة طبيعيّة جداً، وتاريخيّة أيضاً تمتد بأصولها الى زمن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله والأئمة الاطهار عليهم السلام وتلامذتهم.

والامة تتعامل مع هذه الظاهرة كجزء أساسي في كيانها لا كعنصر غريب وظاهري.

وبقطع النظر عن التاريخ الطويل الذي تشبعت فيه الأمة بالولاء والانقياد لعلماء الدين فهناك الاصول القرآنية لهذه الظاهرة التي تؤكد ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.[١]

وهكذا قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٢]

وهكذا أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.[٣]

هذه الاصول القرآنية القريبة من مسامع الأمة تعطي العالم الديني موقعاً في قلوب الناس، وقدرة أكبر على التأثير. وتجعل وجود العلماء في صفوفهم وجوداً قوياً ومستحكماً غير قابل للانكسار أمام مؤامرات الكفر والطاغوت.

ومهما سرى الشك الى قلوب الناس بفئة أو اتجاه أو شخص، فانه لا يسري الى علماء الدين في مجمل حركتهم، فموقعهم في قلوب الأمة المتدينة المسلمة موقع متجذر وتاريخي وظاهرة طبيعية غير قابلة للاقتلاع.

---

[١]. سورة التوبة _ ١٢٢.
[٢]. سورة الانبياء _ ٧.
[٣]. سورة فاطر _ ٢٨.

إنّ هذين العاملين وهما:(البعد الديني، والبعد الاجتماعي) يفسران لماذا قيمومة علماء الدين التي يدعو اليها خط المرجعية؟

* * *

من المناسب أن نستعرض بعض كلمات إمام الأمة، ومؤسس الجمهورية الاسلامية الامام الخميني (قدس سره الشريف).

لقد قال في العديد من خطبه وتوجيهاته للشعب المسلم:

«قوة علماء الدين قوة إلهية، لا تعارضوا علماء الدين فَهُم زينٌ لدنياكم».

«هؤلاء الجماعة من سكان أكواخ ضواحي المدن الذين يعيشون كل سبعة أشخاص أو ثمانية في مكان واحد هم يعرفون حقوق الانسان أحسن منّا، لا أنا ولا أنتم...».

«لا تفصلوا مسيرتكم عن علماء الدين...».

«لا تفلت من أيديكم قوة علماء الدين التي هي قوة الله...».

«إنْ فلتت من أيديكم هذه القوة فسوف تكونون لا شئ..».

«إنّ قوة علماء الدين هي التي جلبت الناس الى الازقة...».

«إن قوة الاسلام تنطلق من حنجرة علماء الدين، لا تدحروهم...».

«اللهم انك تعلم بأني لا ادافع عن علماء الدين لأنني معمّم... ولكن لعلمي أن هذه الطبقة هي التي تتمكن من نجاة الشعب... انّ هذه الطبقة هي التي يريدها الناس...».[١]

* * *

أسلوب العمل

كيف يتحرك علماء الدين في جسم الأمة؟

كيف يمارسون دورهم الثقافي والسياسي؟

إنّ خط المرجعية يدعو لإلتزام أربعة بنود في طريقة عمل علماء الدين:

١ ـ تنسيق مع المراكز العلمية (مراكز الحوزة):

وهذا ما تحدثنا عنه بالخصوص في فصل سابق من هذه الابحاث بعنوان (التنظيم في ضوء خط المرجعية).

فعلماء الدين والمبلغون في المناطق المختلفة من جسم الأمة لا يتّخذون مواقف مرتجلة وغير مدروسة، إنّما هم يرتبطون بالمركز العلمي

---

[١]. من خطابه في ذكرى الخامس عشر من خرداد نشر بالعربية في (مختارات من بيانات الامام الخميني).

الذي يخصص للعمل التبليغي من خلال لجنة تشرف عليه، أو يرتبط المبلغ بالمرجع الديني مباشرة.

وبهذا الصدد نذكر أن سيدنا الشهيد الصدر قد أفتى بحرمة الصلاة خلف كل عالم من علماء المناطق لا يرتبط بالمرجعية الدينية في النجف الاشرف، في محاولة لطرد المدسوسين من قبل السلطة والذين كانوا يمارسون إمامة الجماعة.

٢ ـ العمل بالاطار العلمائي:

والعالم الديني يتحرك في الأمة ويتعامل معها بوصفه ممثلا عن المرجعية الدينية، ومرتبطاً بها.

وهو يتعامل مع صفوف الشعب كافة، ومع كل العاملين فيه بوصفه أباً للجميع، وموجهاً للجميع، وهذا يفرض عليه أن يتحرك بوصفه العلمائي بعيداً عن الانتمائات التنظيمية والحزبية الخاصة، فان ذلك سيفقده الى حد كبير الثقة التي تعطيها الأمة للعالم الديني المرتبط بالمرجعية وحدها.

وهذا المفهوم كان شهيدنا العظيم السيد الصدر قد أكد عليه مراراً، ودعا كل أبنائه ووكلائه ومحبيه من علماء الدين لالتزامه، وشرح

لهم أن هذا الاطار يفتح للعالم الديني كل آفاق العمل، ومزيداً من ثقة الناس فلا مبرر اطلاقا للتعامل مع الأمة من الباب الضيق وترك هذا الباب الوسيع، زيادة على ملاحظات اخرى شرحها (رضوان الله تعالى عليه).

٣ ـ ربط الشعب بالمرجعية:

واذا كان (خط المرجعية) يؤمن بأن القيادة الحقيقيّة والفعليّة هي لإمام الأمة، ومرجعها الديني، فمهمة علماء الدين اذن ـ كما هي مهمة كل العاملين وبمختلف الصيغ والاشكال ـ ربط الشعب بالمرجعية الدينية، وتوطيد العلاقة ـ علاقة الانقياد ـ لها..

أمّا أشكال العمل، وأساليبه الأخرى فليست الاّ أداة توضع لتعميق الوجود المرجعي في الأمة، فالتركيز على تلك الاشكال بخصوصها يعني تحويلها من وسيلة الى هدف، وربط الأمة بتلك الأشكال يعني انتزاع القيادة من المرجعية واعطاءها لغيرها، وذاك ما يرفضه تماماً خط المرجعية.

٤ _ النضال باتجاه الهدفين الرئيسين للدين:

وهما ربط الانسان بالله سبحانه وتعالى وبالسماء وقيمها وتشريعها والآخر هو تحقيق كرامة الانسان وعزته واخلاقيته وتحرير ارادته من كل أشكال العبودية الأخرى _ غير عبوديته لله المطلق _ حيث يندرج في هذا الهدف مقارعة الظالمين والمستكبرين ونصرة المظلومين والمستضعفين.

هذه بنود تحدد معالم التحرك العلمائي الناجح مع الأمة، وهي المعالم التي يتبناها (خط المرجعية) ويدعو لالتزامها.

نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا الى كل خير، ويرشدنا الى الصواب.

«اللهم ووفقنا إذا أشتكلت علينا الامور لأهداها، واذا تشابهت الاعمال لأزكاها، واذا تناقضت المِلل لأرضاها والحمد لله رب العالمين».

* * *

الفصل الرابع

الجماهير في ضوء

خط المرجعية

- نظرتنا للجماهير
- أسس عمل الجماهير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾.

القرآن الكريم

* * *

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...».

الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله

* * *

«ليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية...».

أمير المؤمنين عليه السلام

* * *

مقدمة

لم يكتب هذا الفصل الا لوضع لفتات عامة وسريعة عن دور الجماهير في ظل أطروحة ولاية الفقية و«خط المرجعية».

أمّا الدراسة السياسية المستوعبة والمقارنة التي نبحث فيها عن دور الجماهير، ومسؤوليتها ودور الدولة ومسؤوليتها والعلاقات القانونية التي تربط بين الدولة والجماهير ومقارنة كل ذلك بالسياسات المعاصرة وهكذا دراسة دور الجماهير في الثورة وطبيعة العمل الثوري الجماهيري فاننا سنترك هذه الدراسة المستوعبة الى محل آخر.

أما هنا فاذا كنا قد درسنا سريعاً (معالم خط المرجعية) و(علماء الدين في ضوء خط المرجعية) و(التنظيم في ضوء خط المرجعية) فان ما يلزمنا أن نعرضه ولو سريعاً وموجزاً هو (الجماهير في ضوء خط المرجعية) وهذا ما سنتناوله في النقطتين التاليتين:

١ _ نظرتنا للجماهير.

٢ _ أسس عمل الجماهير.

وعليّ أنْ أنبه في البدء الى أنّ كل واحدة من المفردات التي نذكرها هي مادة تستحق الدراسة والاشباع إلا اننا اكتفينا بمجرد الالفات اليها طلبا للاختصار.

ومن الله نستمد العون والتوفيق...

* * *

نظرتنا للجماهير

يمكن أن نلخّص نظرتنا الاسلامية للجماهير فيما يلي:

١ _ موقع الشهادة[١]

ينظر الاسلام الى الأمة الاسلامية، والى الجماهير المسلمة بوصفها الشهيدة على العالم الانساني، والقيّمة على مسيرة الانسانية وينتظر منها أن تمارس هذا الدور، قال الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [١] من حيث أنّ هذه الأمة ذات أفضل حضارة، وأكمل تشريع.

---

[١]. الشهادة بمعنى القيمومة والاشراف على المسيرة.

كما قال تعالى: ﴿ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾.[٢]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ...﴾.[٣]

ومن حيث أن هذه الأمة بلغت في ظل الحضارة الالهية وهي حضارة الاسلام درجة فاقت بها سائر الامم في الكمال الانساني، ومن هنا أصبحت قادرة على هداية الامم وتوجيهها والصعود بها الى درجات الكمال الانساني.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾.[٤]

﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لا يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾.[٥]

والجدير بالذكر انّ موقع الشهادة هذا هو موقع أعطي للامة الاسلامية كلها، ولكل الجماهير المسلمة المؤمنة، ولا يختص بطبقة العمال، ولا يختص بالارستقراطيين، ولا يختص بأصحاب

---

[١]. سورة البقرة _ ١٤٣.
[٢]. سورة التوبة _ ٣٦.
[٣]. سورة آل عمران _ ٨٥.
[٤]. سورة آل عمران _ ١١٠.
[٥]. سورة يونس _ ٣٥.

الثروات، ولا يختص بالرجال وحدهم دون النساء، ولا يختص بالفئات الطليعية، والكوادر القيادية، كما لا يختص بالعلماء والمثقفين، إنما كل الجماهير المؤمنة، بكل فصائلها، وصنوفها هي الشهيدة، وهي المستخلفة في الارض، والمؤتمنة على الرسالة الالهية، وهي التي ترث الارض في ختام المسيرة.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.[1]

وهذا التصوّر الاسلامي للامة الاسلامية بما فيه من عمومية واستيعاب لكل الجماهير المؤمنة الصالحة يعطي زخماً حركياً لكل هؤلاء الجماهير لأداء دورهم المناسب، وتحمّل مسؤوليات موقع الشهادة على العالم، وبمقدار هذا الزخم الحركي، والدفع الايجابي نحو تحمّل المهام، يعطي هذا التصور الاسلامي زخماً ودفعاً آخر نحو الصلاح، والتقوى، والرشد الانساني، من حيث أنّ الارض يرثها العباد الصالحون، ومن حيث أن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) وهو قمة الكمال الانساني هو الشهيد على هذه

[1]. سورة الأنبياء _ ١٠٥.

الأمة، وعلى كل أفرادها وجماهيرها كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.

٢ _ فاعلية الجماهير وقدرتها:

والنظرية الاسلامية تؤكد أن جماهير الأمة من الناحية الواقعيّة هي صاحبة القرار، وصاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في رسم مستقبلها، وصنع تاريخها.

إنّ الجماهير دائما هي التي تبني وجودها، وحضارتها وتتحكم في مصيرها، فهي تؤثر كما هي تتأثر، وهي تفعل كما هي تقبل، وهذه رؤية اسلامية عامة لكل الجماهير، ولكل الشعوب، على اختلاف أديانها، واتجاهاتها.

إنها قضية عامة يؤكدها القرآن الكريم:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[١]

﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ...﴾.[٢]

---

[١]. سورة الرعد _ ١١.
[٢]. سورة الأنفال _ ٥٣.

إنّ فاعلية الجماهير وقدرتها كما تنعكس في مجال الثورة على الظالمين والاطاحة بحكمهم، وكما تنعكس في مجال توجيه الدولة والحكم والمسيرة كلها، كذلك تنعكس أيضاً على صنع القيادات نفسها.

إن الجماهير كما تتأثر بالقيادات كذلك هي تصنع القيادات نفسها.

وكما قال الشهيد العظيم السيد الصدر (قدس سره) حين سئل عن العلاقة بين القائد والامة:

«انها علاقة ديناميكية، الأمة تصنع القائد، والقائد يصنع الأمة».[١]

والمقصود وجود تأثير وتأثر متبادل، فالقائد العظيم ينبع من الأمة العظيمة، ثم هو بدوره يصعد بهذه الأمة الى درجة أرفع وأكمل.

إذن فالجماهير هي فاعلة وخلاّقة في كل الاحوال، وعلى كافة المجالات.

فاعلة في صنع الثورة، وصنع القيادات، وإقامة الدولة، وتثبيت الدولة.

---

[١].ذكرياتي عن الشهيد الصدر _ مخطوط للمؤلف.

ومن أجل ذلك أكّد القرآن الكريم على مفهوم التشاور مع الجماهير، حيث قال في وصف الأمة المؤمنة، والجماهير الرسالية: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.[١]

وقال مخاطباً الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، وهو النبي المعصوم، وأفضل خلق الله:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [٢] تأكيداً على دور الجماهير في التأثير، وصنع القرار...

٣ _ وحدة الجماهير:

والرؤية الاسلامية تعتقد أن وحدة الجماهير وتماسكها هو الشرط الاساس في قدرتها على الفعل والتأثير دائماً.

فان الوحدة أساس النصر...

وهذا أمر لا يختص بالجماهير المسلمة، انما هو قاعدة عامة تشمل مختلف الامم، والشعوب.

الشعب المتّحد يستطيع أن يفعل، وأن يغيّر، وأن يصنع ما يريد، والشعب المتفرّق تنتهي كل الجهود المبذولة فيه الى الفشل.

---

[١]. سورة الشورى _ ٣٨.
[٢]. سورة آل عمران _ ١٥٩.

ومن هنا فان الاطروحة الاسلامية اذ تؤمن بقدرة الجماهير، تفترض أن الوحدة شرط أساس لها. وعلى هذا الاساس جاءت التأكيدات الكثيرة على الوحدة حيث قال تعالى: _

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾.

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾.

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾.

﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾.

ومن هنا جاء التأكيد القرآني على أن الشقاء الاجتماعي الذي يصيب الامم نتيجة تماديها وعصيانها لا يخص المنحرفين وحدهم بل يستوعب كل أفراد الأمة وكل الجماهير.

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾.[1]

لماذا؟

لأن العمل الفردي لا يستطيع أن يرسم مستقبل الأمة، ولأن الجماهير كلها ما لم تتّحد وتمشي في طريق واحد لا تستطيع أن تكتب تاريخها ومستقبلها الأفضل، إنما سيكتب عليها جميعا الشقاء والتخلف والبؤس العام.

---

[1]. سورة الأنفال _ ٢٥.

بل يبلغ التأكيد الاسلامي على الوحدة، وقيمتها، الى درجة أن الانبياء لم يبعثوا الاّ من أجل الوحدة ومن هنا فهم أنبياء التوحيد.

والأنبياء لم يبعثوا الاّ بعد فرقة الجماعة الانسانية.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.[١]

ومعنى ذلك أن الوحدة وحل الخلافات، والتغلب عليها هي مهمة الانبياء وهدفهم، وبعد أن تورّطت البشرية في خلافاتها ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً واحِدةً فَاخْتَلَفُوا﴾.[٢]

ومن هذا البعد الاجتماعي والسياسي ننطلق للحديث عن دور الدين وضرورته في وحدة الصف الانساني.

إنه بعد اختلاف الجماعة الانسانية نتيجة تعقد الحياة الاجتماعية، واحتكاك المصالح وتضاربها وتزاحمها، لم يكن أي طريق لاعادة وحدة الصف سوى الدين..

وبمقدار ما امتد الدين وتعمق امتدت الوحدة وتعمقت معه.

---

[١]. سورة البقرة _ ٢١٣.
[٢]. سورة يونس _ ١٩.

ومنذ اليوم الاول للدين وحتى يومنا هذا يناضل الدين من أجل إعادة المجموعة الانسانية الى رشدها، وتوحيد كتلتها في ساحة العبودية لله الواحد الأحد.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.[١]

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.[٢]

ويجدر أن نشير في ختام الحديث عن هذه النقطة الى أن الاطروحة السياسية التي تبناها الاسلام تحقق للجماعة وحدتها.

إن أطروحة (ولاية الفقيه) و(خط المرجعية) هي الاطروحة السياسية الأكثر كفاءةً في جمع كل الاطراف وطاقاتها، لتجعل منها كتلةً واحدة تسير تحت لواء المرجع الديني كما كانت تسير تحت لواء النبي صلى الله عليه وآله، أو الوصي عليه السلام.[٣]

والجماهير في ظل (خط المرجعية) تمتلك أقوى أساس لوحدتها وهو وحدة قيادتها الرشيدة، أمّا في غير هذه الاطروحة، وتحت ظل غير هذه القيادة الواحدة فانها ستتمزق في ظل قيادات غير قادرة على كسب كل الجماهير وتوحيدها.

---

[١]. سورة الانبياء _ ٩٢.

[٢]. سورة المؤمنون _ ٥٢.

[٣]. هذه النقطة سنشرحها في مجال آخر للحديث عن (المكاسب السياسية لخط المرجعية).

٤ ـ وعي الجماهير:

حول وعي الجماهير توجد مسألتان:

المسألة الاولى: كيف نعمل مع الجماهير؟

المسألة الثانية: ما هو تقييمنا لوعي الجماهير؟

أما في المسألة الاولى:

فالنظرة الاسلامية ترى ضرورة السعي لتصعيد مستوى الجماهير، والبلوغ بها جميعاً الى افضل حد ممكن وعدم الابتعاد عنها ولا معاداتها والتبرّم منها، بل التودّد اليها واستقبالها والتعايش معها ثم محاولة اصلاحها وتقريبها أكثر فأكثر نحو الحق.[١]

كما أن من مسؤولية الجماهير أن تجدّ في رفع مستواها ووعيها الديني والسياسي كيما تكون قادرة على اداء مهامها بالشكل الافضل.

وقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا خير في العيش الاّ لرجلين، عالمٍ مطاع، أو مستمعٍ واع».

---

[١]. أصول الكافي ـ ج١ ـ باب صفة العلم ـ حديث ٧.

كما ورد في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام: «لا يسع الناس حتى يسالوا ويتفقهوا ويعرفوا امامهم».[١]

وحين تكون مهمة الانبياء كلهم وضع الاغلال عن الناس كما في قوله تعالى:

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.[٢] يجب أن ندرك أنه ليس شيء أكبر وأخطر من أغلال الجهل الديني والسياسي وفقدان الوعي، الامر الذي يستفيد منه الظالمون لتثبيت سلطانهم على رقاب المستضعفين.

والقرآن الكريم يدعو الجماهير دائماً للتفكير، والتأمل، وعدم التبعية العمياء في اتخاذ القرار، وتحديد الموقف، ومن هنا فهو يؤاخذ دائماً أولئك الذين يستسلمون للأحداث وللكبراء، فيقولون:.

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾.[٣]

ويقولون: ــ

﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾.[٤]

---

[١]. أصول الكافي ــ ج١ ــ باب سؤال العالم ــ حديث ٤.
[٢]. سورة الأعراف ــ ١٥٧.
[٣]. سورة الأحزاب ــ ٦٧.
[٤]. سورة الأعراف ــ ٣٨.

إن القرآن الكريم يستنكر هذا الموقف الإمَّعي التبعي ويطلب من الجماهير دائماً أن ترى الحقائق بعينها فتتبعها.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«إعرف الحق تعرف أهله».

وهو بهذا يخاطب كل الناس، وكل الجماهير، بكل مستوياتها، وبكل صنوفها.

وفي المجتمع الاسلامي يجب أن يزول الجهل الديني، والعلمي، والسياسي، وتنتهي طبقة الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق، بينما تتعمق في الأمة ظاهرة الوعي، والتحرر في النظرة وفي الموقف، وذلك قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.[١]

وقد ورد في العديد من الأحاديث الشريفة ما يدعو لتعميق الوعي في الأمة حتى لتكون حركة الجماهير دائماً منبثقة عن وعي، وقائمة على فهم كامل وقناعة بالحقيقة.

ورد في الحديث النبوي الشريف أنه صلى الله عليه وآله قال:

«نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها».[٢]

---

[١]. سورة الزمر _ ١٨.
[٢]. تحف العقول _ مواعظ النبي.

وفي حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه وآله:

«من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح».[١]

كما أن الآية القرآنية الكريمة:

﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾.[٢]

دعت _ هذه الآية _ الى مزيد من البحث وراء الحقيقة، والجديّة في طلب الموقف المدروس والصحيح، والنداء في الآية الكريمة إنما يتوجه لكل الافراد، وكل الجماهير.

كما أن الآية التي تقول ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾.[٣] تؤكد للجماهير ضرورة التثبت في الموقف، والتأكد من الخطوات، والإمعان في واقع القيادات التي تتبعها وتسير تحت لوائها.

ومعنى كل هذا انّ الجماهير مدعوة لأن تتحرك عن وعي كامل، ومعنى هذا أيضاً ان الطريقة الاسلامية في التعامل مع الجماهير هي السعي في توعية الجماهير، وتأصيل الحرية الفكرية والنفسية فيها،

---

[١]. أصول الكافي _ باب من عمل بغير علم.
[٢]. سورة سبأ _ ٤٦.
[٣]. سورة الأسراء _ ٧١.

وتكسير أغلال الجهل، وأغلال الاسترسال، وأغلال التبعية بكل الوانها.

وأما في المسالة الثانية:

وهي تقييمنا لوعي الجماهير فيمكن أن نوجز القول بما يلي: ــ

إنّ الاطروحة الاسلامية السياسية (اطروحة ولاية الفقيه وخط المرجعية) تؤمن بقيمة الوعي التلقائي الذاتي للجماهير المؤمنة كما تؤمن بقيمة الحركة العفوية والمبادرة السياسية للجماهير المؤمنة.

فالجماهير في الوقت الذي هي بحاجة الى قيّم يوجه مسيرتها ويضمن سلامتها ــ كما سيأتي في النقطة الآتية ــ هي في ذات الوقت تمتلك حساً سياسياً، ووعياً ذاتياً نابعاً من فطرتها الاسلاميّة، ووجدانها الايماني، قد تتفوق به ــ أحيانا ــ على الطليعة القيادية وتسبقها، ومن هنا يجب أن نحسب للمبادرات الجماهيرية والفعل وردّ الفعل الجماهيري حساباً مهماً في الحركة السياسية.

إن من الخطأ أن نفترض أنّ الجماهير هي دائما عاجزة عن الحركة الفعالة، والمبادرة العملاقة.

ومن الخطأ أن نحسب على الجماهير أنفاسها وخطواتها ونوصد عليها أبواب التحرك الذاتي بحجة أنها قاصرة وغير كفوءة.

إن الحركة السياسية في الأمة الاسلامية تعتمد على (المبادرة الجماهيرية) اعتماداً أساسياً، وتعتبر أن المبادرة الجماهيرية هي الانعكاس الصحيح للحقيقة ذلك طبعاً الى جانب الاعتقاد بحاجة الجماهير الى حركة توجيه وترشيد.

ومن هنا جاء مبدأ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.[١]

ومفهوم «يد الله مع الجماعة»[٢].

إن التربية الاسلامية، تحاول دائماً أن تغرس في الجماهير روح الثقة بالنفس، والقدرة على اتخاذ الموقف، وامتلاك زمام المبادرة الحيّة.

ولا نريد أن ندلل على هذه الحقيقة بعرض المزيد من البراهين، إنما يكفينا بهذا الصدد أن نقرأ بعض النصوص التي تحاول تعزيز ثقة الأمة بنفسها وأصالتها وخيرها. انظر قوله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.[٣]

وقول الرسول صلى الله عليه وآله: _ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».[١]

---

[١]. سورة آل عمران _ ١٥٩.
[٢]. صحيح مسلم ج ٢ ص ٧٠٢، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ١٠ ص ٢٨٠، كنز العمال للمتقي الهندي ج ٧ ص ٥٥٨.
[٣]. سورة آل عمران _ ١١٠.

وقول علي عليه السلام: «ايها الناس: لا تستوحشوا من طريق الحق لقلة أهله».[٢]

وجدير أن نقرأ معاً بعض كلمات الامام العظيم، أمل الجماهير المستضعفة، الامام الخميني حول وعي الجماهير ومبادرتها.

يقول الامام: ــ «إننا في عصر ينبغي أن تضيء الشعوب الطريق فيه لمثقفيها، وأن تنقذها من الانهيار والضعف...».

«فاليوم يوم حركة الشعوب، وهي التي ينبغي أن توجه من كان يوجهها من قبل».[٣]

واذا انتقلنا من عالم النظرية الى عالم الواقع أمكن أن نشير بالأرقام الى أصالة الحس الاسلامي لدى الجماهير، وقدرتها على المبادرة.

يمكن أن نذكر بهذا الصدد دور الجماهير في الأطاحة بعرش ملك إيران، ثم تأسيس الجمهورية الاسلامية، ثم الحفاظ عليها من مختلف ألوان السرقة والمصادرة والتحلل.

إن الجماهير في الجمهورية الاسلامية تملك قيادة واعية وفولاذية ولكن هذه الجماهير هي الاخرى عظيمة في وعيها وارادتها، ومن هنا

---

[١]. ميزان الحكمة _ باب المسؤولية _ عن مصادره.
[٢]. نهج البلاغة _ القسم الاول _ الخطبة ٢٠١.
[٣]. من نداء الامام الخميني الى حجاج بيت الله الحرام سنة ١٤٠٠ هـ.

فقد قطعت الكثير من الخطوات الثورية من خلال مبادراتها الحية والفورية، وليس من خلال الغرف المغلقة، وحسابات التخطيط النظرية.

والحقيقة أنّ هذه الظاهرة موجودة في معظم الشعوب.

نستطيع أن نتذكر بهذا الصدد الحركة الجماهيرية العفوية التي حدثت في العراق سنة (١٩٧٧) يوم العشرين من صفر، فالحركة التي هزت النظام يومذاك كانت مبادرة جماهيرية، قبل أن تكون قراراً صادراً من القيادة، أية قيادة كانت.

وهكذا دخول الحركة الاسلامية في العراق مرحلة المواجهة المسلحة، فانه كان مبادرة جماهيرية اندفع اليها تيار من المؤمنين بوعيهم الذاتي.[١]

٥ _ حاجة الجماهير الى الشاهد:[٢]

ومن النقاط المهمة في نظرتنا للجماهير حاجتها الى شاهد.

إنه مهما تبلغ الجماهير في وعيها فأنها لا تصل الى درجة العصمة، ولا يمكن أن نضمن سلامة مسيرتها، ما لم يشرف على هذه المسيرة رجل معصوم أو نائب عن المعصوم.

---

[١]. وهكذا كانت انتفاضة شعبان لعام ١٤١١ هـ الصورة الناصعة لوعي الشعب العراقي وارادته وصحة مبادرته _ المؤلف.

[٢]. الشاهد بمعنى الموجه والمشرف والهادي، وقد قال تعالى(: ولكل قوم هاد...).

ومن هنا ففي الوقت الذي تكون جماهير الأمة المسلمة شهيدة على الناس، ومشرفة على مسيرة الانسانية، يكون الرسول صلى الله عليه وآله شهيداً عليهم ومشرفاً على مسيرتهم.

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً...﴾.

إن هذه نقطة جوهرية في التصور الاسلامي عن الجماهير.

إن المبالغة في التمجيد بوعي الجماهير وإرادتها هو خطأ كما أن تكبيل الجماهير، والتوهين من وعيها الذاتي خطأ أيضاً.

إذن الجماهير تحتاج الى شاهد، وهذا الشاهد هو المعصوم (الرسول) ــ أو (الوصي عليه السلام) أما في حالة غياب هذا المعصوم فالجماهير أيضاً لا تستغني عن الشاهد، ولا تستطيع لوحدها قطع الاشواط الباقية من مسيرة التجربة الاسلامية بسلام.

الشاهد في هذه المرحلة هو المرجعية الدينية الرشيدة كما قال السيد الشهيد الصدر: ــ «فالمرجعية الدينية الرشيدة والقيادة الروحية هي الحصن الواقي من كثير من ألوان الضياع والانحراف».[1]

[1]. من رسالة الشهيد الصدر الى الشعب الايراني.

على أن سلامة المسيرة لا تعتمد على المرجعية الدينية الرشيدة فقط لانها هي الأخرى غير معصومة، إنما تعتمد على حركة تكاملية بين الجماهير الواعية المؤمنة وبين المرجعية.

وقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وآله:

«لا تزال امتي بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فاذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسلِّط بعضهم على بعض».[١]

على أن المرجع الديني انما هو نتاج الجماهير، ووعي الجماهير، ومحيط الجماهير وليس ملاكاً نازلاً من السماء.

ومعنى هذا أن الجماهير لها حصة ليست قليلة في ضمان سلامة المسيرة وعصمة الخط.

جدير أن نقرأ في هذا الموضوع كلام الشهيد السيد الصدر حيث يقول: ـ

«إن الاسلام يتّجه الى توفير جو العصمة بالقدر الممكن دائماً، وحيث لا يوجد على الساحة فرد معصوم بل مرجع شهيد، ولا أمة قد انجزت ثوريا بصورة كاملة وأصبحت معصومة في رؤيتها النوعية بل

---

[١]. وسائل الشيعة _ ص ١١ _ باب وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

امة لا تزال في أول الطريق، فلابد أن تشترك المرجعية والامة في ممارسة الدور الاجتماعي الرباني...».

ومن الضروري أن يلاحظ انّ المرجع ليس شهيداً على الأمة فقط، بل هو جزء منها أيضاً... وله رأيه في المشاكل بقدر ماله من وجود في الأمة وامتداد اجتماعي وسياسي في صفوفها.[١]

ويهم أن نشير بهذا الصدد الى أن المرجعية ليست هي الفرد، وإنما هي وجود ممتد في جسم الأمة متمثلا بكل علماء الدين، وحملة الرسالة، وهؤلاء الذين يمثل المرجع الديني الاعلى محوراً ورمزاً لهم.

هؤلاء وبالحركة التكاملية مع الجماهير هم الذين يضمنون سلامة المسيرة، ويوفرون جو العصمة ولو نسبياً.

٦ ـ الحق القانوني للجماهير:

أمّا إذا أردنا أن نحدّد ـ قانونياً ـ دور الجماهير في ظل الاطروحة الاسلامية للحكم (خط المرجعية) أمكن القول:

«أن السلطة التشريعية[١] والسلطة التنفيذية قد أسندت ممارستها الى الأمة، فالامة هي صاحبة الحق في ممارسة هاتين السلطتين

---

[١]. خلافة الانسان وشهادة الانبياء ـ ص ٥٥.

بالطريقة التي يعينها الدستور، وهذا الحق حق استخلاف ورعاية مستمدة من مصدر السلطات الحقيقي وهو الله تعالى».[٢]

أمّا في دستور الجمهورية الاسلاميّة فقد ورد:

«في جمهورية ايران الاسلامية يجب أن تدار شؤون البلاد اعتماداً على آراء الجماهير عن طريق الانتخابات».

انتخابات رئيس الجمهورية (السلطة التنفيذية) وأعضاء مجلس الشورى الاسلامي (السلطة التشريعية).[٣]

* * *

أُسُس عَملِ الجماهير

حينما آمنت الاطروحة الاسلامية السياسية _ أطروحة خط الولاية والمرجعية _ بالعمل الجماهيري فإنها وضعت لهذا العمل أسسه الأخلاقية، والقانونية بحيث تضمن _ مع مراعاة هذه الأسس _ سلامة المسيرة.

إن الاطروحة الاسلامية كما وضعت أسساً للعمل الفردي، كذلك وضعت أسساً للعمل الجماهيري من أجل تحصينه من مختلف

---

[١]. المقصود منها التشريع في دائرة (منطقة الفراغ) التي تركتها الشريعة الاسلامية لتملأ حسب الظروف والاحوال المتقلبة.

[٢]. لمحة فقهية _ السيد الصدر _ ص٢٣.

[٣]. القانون الاساسي للجمهورية الاسلامية _ ص ٢٢.

الامراض والانحرافات الفوضوية والارتجال والصراع الهدام وليس البنّاء وغير ذلك.

وسنعرض فيما يلي، بعض هذه الأسس بمقدار ما تسمح به هذه الفرصة.

١ _ مبدأ المسؤولية العامة:

يعتمد (العمل الجماهيري) وحق الجماهير في التصدي، والمبادرة، والنقد، على مبدأ المسؤولية العامة.

مسؤولية هذا الانسان الذي يعيش في أمة، وفي محيط اجتماعي، يستفيد من عطائه، وخيراته، ومعوناته، اذن لابد أن يتحمل هو بدوره مسؤولية سعادة هذا المجتمع وسلامة هذا المحيط.

هذه المسؤولية مسؤولية عامة.

مسؤولية الرجل والمرأة، مسؤولية العامل والاستاذ، مسؤولية التاجر والزارع، مسؤولية كل من يفهم معنى الحياة الاجتماعية...

«كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول

عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها، وولده وهي مسؤولة عنهم، الا فكلكم مسؤول عن رعيته...».[١]

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

* * *

ويسعى خط المرجعية دائماً لتعميق هذا الشعور العام، وتربية الجماهير دائماً على تحمل المسؤولية، وعلى التصدي لبناء المجتمع، والدولة، والمراكز السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكل ما يرتبط بمسيرة الأمة...

إن الاطروحة الاسلامية لا تكتفي فقط باعطاء الحق للجماهير في أن تقول، وفي أن ترى، وفي أن تبادر وتتصدى، إنما تسعى الاطروحة الاسلامية لإشعار الجماهير بجانب المسؤولية في هذا التصدي، فهي ليست ذات حق فقط وانما هي مسؤولة ومكلّفة، فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان الله لا يعذّب العامة بعمل الخاصة حتى تكون العامة تستطيع أن تغيّر على الخاصة فاذا لم تغيّر العامة على الخاصة عذّب الله العامة والخاصة».[٢] وورد أيضاً في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: «لا تقطعوا

---

[١]. ميزان الحكمة _ باب المسؤولية _ عن مصادره.
[٢]. ميزان الحكمة _ باب المعروف _ عن مصادره.

نهاركم بكيت وكيت وفعلنا كذا وكذا، فإن معكم حفظةً يحفظون عليكم».[١]

تصحيح خطأ:

وهنا نجد مناسباً أن نشير الى خطأ قد يتورط به بعض الناس كما لاحظنا.

هناك من يعيش حالة «الاتكالية» و«اللامبالاة» تجاه الاحداث على اختلافها، بتصور أن الانخراط في صفوف حزب الله، يعني أن لا يتخذ موقفاً ما، أن يكون حياديا على الدوام، وأن تستوي عنده كل الاطراف، وكل الاتجاهات، وكل القضايا، ويقف منها جميعاً موقف المتفرج، أو موقف المشارك التابع الذي لا يتبصر في واقع القضية، إنْ أحسنَ الناسُ أحسن، وإنْ أساؤوا أساء، وإنْ دخلوا هنا تبعهم أو دخلوا هناك لحقهم.

الحقيقة أن هذا الفهم خاطئ تماماً.

إن الرجل الرسالي، المؤمن، الـ (حزب اللهي) حسب الاصطلاح القرآني، هو ذلك الذي يعرف من أين، والى أين، وفي أين.

---

[١]. تحف العقول _ وصايا امير المؤمنين (عليه السلام).

هو ذلك الذي يستمع القول فيتبع أحسنه.

هو ذلك الذي يرفض الحيادية المطلقة الهادفة لارضاء جميع الناس، تاركة وراءها قضية الحق والعدل.

هو ذلك الذي يحب في الله، ويبغض في الله.

ثم هو ذلك الذي يقف دائماً موقف المسؤول لا موقف المتفرج.

هو ذلك الذي يحمل همّ قضيته، ولا يضحي بها خلوداً الى الراحة وهدوء البال.

هو ذلك الذي يطلب الحقيقة، ويسعى لها ولو كان على حساب نعومة العيش وحلاوة الحياة، فانّ (مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة) كما ورد في الحديث الشريف عن الامام علي عليه السلام.[١]

نعم هذا الانسان يسعى الى كل ذلك ويتحمل كل ذلك تحت شعار الاسلام والقضية الالهية العادلة دون التقيد بفئة من الناس ودون التأثر بإطار غير الاطار الالهي، ومن هنا كان من حزب الله، فالحزب اللهي فاعل ومؤثر وشجاع ومقدام ولكنه حيادي تجاه كل

---

[١]. نهج البلاغة _ القسم الثالث _ المقال ٢٥١.

التيارات والشخصيات عدا حكم الله، وشعار الله، والاخلاص الى الله، والى رجال الله.

٢ _ مبدأ الحرية الفكرية والسياسية:

ويعتمد العمل الجماهيري في الاسلام على أساس مبدأ الحرية الفكرية والسياسية، هذا المبدأ القائل بأن الناس أحرار في فكرهم، وقناعاتهم، ومواقفهم السياسية...

بالتأكيد فان هذه الحرية ليست مطلقة إنما هي مشروطة بعدة أمور: _

١ _ أن تكون في حدود فكرة الايمان بالله.

٢ _ أن تكون لمصلحة الشعب ولا تشتمل على التخريب.

٣ _ أن لا تعادي العقيدة الاسلاميّة.

٤ _ أن لا تصطدم مع حريات الآخرين ولا تزاحمهم.

وعلى هذا الأساس فإن الجماهير يجب أن تبقى حرة، وأن تستشعر الحرية في قناعتها، وفي مواقفها، بهذا المنطق، بمنطق أنهم أحرار، لهم رأيهم، ولهم قناعتهم، ولهم موقفهم.

وحتى عملية التوجيه الديني والسياسي للجماهير يجب أن تأخذ بعين الاعتبار حرية هذه الجماهير.

من الخطأ أن نفرض قناعتنا فرضاً على الناس.

ومن الخطأ أن نتوقع من الناس أن يكونوا دائماً معنا في التصور، وفي العمل.

ومن الخطأ أن نفرض لانفسنا الهيمنة على عقول الناس.

ومن الخطأ أن لا نحترم أفكارهم، ومواقفهم، متى ما كانت مخالفة لافكارنا، ومواقفنا.

بل من الخطأ أن نفترض دائماً وكقضية _ غير قابلة للنقاش _ أن الحق دائماً معنا، واننا لا نخطئ، ولا نحتاج الى اعادة النظر.

ومن الخطأ أن نعطي، دائماً لآرائنا القداسة، ونطالب باجلالها، كما لو كانت نازلة من السماء. بينما ننظر الى آراء ومواقف الآخرين نظرة فيها كثير من الازدراء والاحتقار...

قال تعالى: _ ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[1]

---

[1]. سورة الحجرات _ ١١.

إنّ عمل الجماهير الحر قائم أساساً على حرية التفكير، واحترام هذا التفكير.

وهذا الأمر كما ينطبق على الجماهير جميعاً، على اختلاف اتجاهاتها، وميولها السياسية، كذلك ينطبق على الشخصيات البارزة في كل واحد من هذه الاتجاهات.

إن القرآن الكريم يدعونا دائماً للحرص على مبدأ الحرية، وعدم استعباد الناس، وفرض الآراء عليهم...

قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.[١]

بل يصعد القرآن الكريم درجة أكبر في احترام آراء الناس، والتعامل الهادئ والحسن مع اتجاهاتهم فيقول في الجدال مع الكافرين: ﴿إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[٢]

تصحيح خطأ:

وهنا نود أن ننبّه الى خطأ قد يتورط به بعض المتصدين للعمل الاسلامي...

---

[١]. سورة النحل _ ١٢٥.
[٢]. سورة سبأ _ ٢٤.

هذا الخطأ هو تصور أن الحرية بالمعنى الذي ذكرنا هي عبارة أخرى عن التفرق، واننا إذا كنا حريصين على الوحدة فيجب حصر العمل السياسي، وعدم ترك الباب مفتوحاً أمام الجماهير لتعبّر عن قناعتها، وعن رأيها بأكثر من صيغة، وبأكثر من طريق.

إنّ هذا خطأ محض، وهو فهم فيه كثير من السطحية، كما فيه كثير من المغالطة.

فالوحدة، والتوحد، والتوحيد لا يعني أبداً احتكار العمل. وفي المقابل فان تعدد أنماط التحرك، والجماعات المتحركة، والاتجاهات السياسية ضمن الحدود الدينية المفترضة وضمن أخلاقية التعاون على البر لا يعني أبداً الفرقة والتمزق.

إنما الوحدة تعني وحدة الهدف، ووحدة المحتوى، ووحدة الصف، مهما اختلفت الاشكال والصيغ.

وعلى هذا فمن حق الجماهير بل عليها أن تعمل من أجل الهدف الواحد، وتقف في الصف الواحد، وتملأ بعملها كل المواقع، وتتوسل له بكافة الطرق الناجحة.

إنّ خط المرجعية يسعى لتحقيق هذه الممارسة الجماهيرية الحرة والتي تتحد كلها عند ولاية الفقيه المرجع، وتحت قيادته الواحدة.

هذا جانب من مبدأ الحرية الفكرية والسياسية.

ويبقى جانب آخر هو طريقة مواجهة الخطأ الفكري والسياسي، النظري والعملي الذي قد يصاب به بعض العاملين أفراداً أو حركات.

انّ مبدأ الحرية الفكرية والسياسية الذي يعتمده (خط المرجعية) يدعونا لمواجهة الخطأ لا بالحرب الدعائية وطريقة الاستهزاء والسخرية، واحترام آرائهم وقناعاتهم.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾.[١]

﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٣ ـ مبدأ التعاون على البرّ[٢]

في الوقت الذي يدعو الاسلام لحضور الجماهير في الساحة، وتحمّلها المسؤولية، ويمنحها الحرية في العمل لقضية الاسلام والامة الاسلامية في كل المجالات، وبمختلف الاشكال، فانه يدعوها من

---

[١]. سورة الحجرات ـ ١١.

[٢]. في حديث متقدم سبق الاشارة الى هذا المبدأ، الاّ اننا آثرنا الوقوف عنده بتركيز اكثر.

ناحية أخرى لمزيد من التعاضد، والتلاحم، والتعاون.. فالقرآن الكريم يقول:

﴿تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾.[١]

والحديث الشريف عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله:

«المؤمنون في تبارّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر».[٢]

إنّ الجماهير المؤمنة وإن عملت في مجالات متفرقة، وبصيغ مختلفة، لكنها تعمل متعاونة، ومتحابة، ويود بعضها النجاح للبعض الآخر.

جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا يؤمن عبدٌ حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير».[٣]

ومن هنا نعرف أن الاسلام لا يقول اتحدوا في صيغة العمل، واعملوا عملا واحداً لا يكون اثنين، ولا ثلاثة انما يقول تعاونوا على العمل.

---

[١]. سورة المائدة _ ٢.
[٢]. ميزان الحكمة _ ج١ _ باب الايمان _ عن مصادره.
[٣]. ميزان الحكمة _ باب الايمان _ عن مصادره.

«وتعاونوا على البر والتقوى» ويقول: «استبقوا الخيرات».

فالاسلام باطروحته السياسية (خط المرجعية) لا يضايق من تعدد الاعمال، والعاملين ولا يمنع من تعداد الفئات، والتنظيمات، ومختلف التشكيلات الاجتماعية والسياسية، انما يدعو الى التعاون فيما بينها، وأن تصب في مصب واحد، وتحت قيادة واحدة هي المرجعية الدينية الرشيدة.

وهكذا لا يدعونا الاسلام للعمل على احتواء العاملين، واحتواء الحركات ومحاولة ضمها جميعاً الى هذه الفئة أو تلك.

إنّ هذه الفئوية مرفوضة تماماً في (خط المرجعية) وهي قبل كل شئ ناشئة من نقص أخلاقي هو الغرور والاستعلاء على الآخرين.

إنّ مبدأ (التعاون) الاخوي، يؤكد ضرورة المساهمة مع الآخرين في انجاح مساعيهم، ومشاريعهم، وحركاتهم، ونشاطاتهم، لا محاربتها، أو محاولة التحجير عليها، أو السعي من أجل كسبها واحتوائها، الامر الذي يخلق جواً كبيراً من النفرة، والحساسية، وحذر كل فئة من الأخرى.

ومن مبدأ التعاون على البرّ ينبثق مبدأ التشاور الذي دعا اليه القرآن الكريم حين قال:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

واعتبره وصفا للامة الاسلامية حين قال:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

إنّ التشاور مع الآخرين على أصل العمل، أو صيغة العمل، أو شروط العمل، هو نحو من أنحاء التعاون الصادق والمخلص، كما أن تقديم النصح، والمشورة هو الآخر تعبير عن هذا التعاون.

وعلى ذلك فان الجماهير حين تتحمل مسؤوليتها، وتحضر في الساحة السياسية، وتساهم في العمل، تسعى لأن تتشاور، وتوحد رؤيتها جهد الامكان.

وإنّ الدعوة الى التشاور كما تنسحب على الافراد، تنسحب كذلك على الحركات، والفئات، والاحزاب، ومختلف الكتل والتشكيلات.

إنها مدعوة بالحاح للتشاور، وتوحيد الرؤية، أو الاستفادة على الأقل من رؤى الآخرين، لا أن تتعالى، وتتفرد، وتفترض أنها وحدها ذات الرؤية المقدسة التي لا تقبل الشك، ولا تقبل الاضافة، ولا التصحيح والتعديل..

تصحيح خطأ:

ويجب أن ننبّه الى خطأ قد يتورط به بعض المتصدين للعمل الاسلامي من جماهير الأمة، جماهير (حزب الله).

هذا الخطأ هو تصور أنّ الانسان المؤمن المنخرط في صفوف حزب الله يجب أن لا يخضع لأي تنظيم، وأي تنسيق، وأي ارتباط، يجب أن يبقى دائماً بعيداً عن نظم الامور، وترتيبها.. تصور أن حزب الله يعني الهروب دائماً من الانتماء، من الحدود، ومن القانون، ومن القرار المشترك مهما كان لونه ونوعه.. وهذا وهم مؤكد.

ولقد رأينا العديد من الناس يفكرون بهذه العقلية الخاطئة، ولسنا نشك في أن اللجوء الى هذا التحلل هو ردة فعل نفسية للأغلاط والمشاكل والصعوبات الموجودة في العمل التنظيمي.

إلاّ أننا يجب أن نؤكد للجماهير أن ردة الفعل هذه هي الأخرى خاطئة وغير قرآنية.

إنّ مبدأ (التعاون على البر) الذي أوصى به القرآن الكريم، يفرض علينا التعاون وإن كلفنا الارتباط بفرد، أو بجهة، أو بجماعة.

إنّ الاشتراك مثلاً مع مؤسسة من المؤسسات الاسلامية وهكذا الالتحاق بواحدة من الجماعات والتشكيلات الموجودة لا يعني أبداً

الخروج من دائرة حزب الله.. بل كل ذلك هو صورة من صور التعاون الذي دعا اليه الاسلام.

إنّ التعاون لا يتعارض مع النظم، بل ينسجم معه دائماً ويدعو اليه، شريطة أن يكون هذا النظم تحت لواء المرجعية الدينية الرشيدة، ومتمثلاً لوصاياها وتوجيهاتها، وأن لا يخرج الانسان عن حالة الانتماء الى الله سبحانه والوقوع في مستنقع الانتماءات الثانوية غير الاصيلة.

وبهذا الصدد نقرأ كلام الامام الخميني (رحمه الله) حيث يقول في حديث عن الثورة الاسلامية:

«يجب أن تكون هذه الثورة منظَّمة...

يجب أن لا تكون بدون تنظيم..

يجب أن تكون هناك علاقات منظمة بين حوزة قم وحوزة طهران وكل المحافظات، ويجب أن لا يكونوا متفرقين...

يجب تنظيم هذه الثورة بحيث إذا نهضت قم يوماً ينهض الشعب الايراني بأسره...

يجب أن تتحد كل الأجنحة فيما بينها وتتضامن...

يجب أن يتكوّن تنظيم واحد من كل المنظمات، يتكون حزب إلهي بوجه حزب (رستاخيز) _ الحزب الملكي السابق _ يجب أن يكون حزب الله...

ومن الخطأ أن تبقوا فئات متفرقة منفصلة...».

ونحن نأسف اذ رأينا عدداً من المؤمنين يرفضون التعاون بتخوف أن يكون محسوباً على فلان شخص، أو فلان جهة، في الوقت الذي نعلم جميعاً انه لا يمكن الابتعاد دائماً عن هذه النسبة في عرف الناس.

إنما الميزان في (حزب الله) هو أن يكون الاخلاص للمبدأ، فوق كل شئ، والانقياد لولي الامر (المرجع الديني) قبل الانقياد لما سواه.

وهذا الموضوع نرجو أن نوفق لبحثه في مجال آخر نتناول فيه منهجنا السياسي.[١]

٤ _ حق المبادرة:

حق المبادرة هو نتيجة طبيعية لمبدأ المسؤولية العام، فلما كانت الجماهير مسؤولة، وكان كل فرد من الافراد مسؤولاً عن تطبيق حكم

[١]. راجع «بحوث في المنهج السياسي».

الله في الارض، وعن تحصين وضع الأمة من ألوان الانحراف، كان من حق الجماهير إذن أن تبادر...

وكان من حق كل فرد أن يبادر...

ولا يمكن بحال من الاحوال أن نمنع ونقف دون هذه المبادرات بحجة عدم وعي الجماهير، أو عدم وعي الفرد...

نعم من حق (ولي الامر) أن يضع طريقة خاصة لهذه المبادرة، أو شروطاً خاصة، حسب ما يراه من المصلحة العامة.

أمّا التشكيك في رأي الجماهير، وحجزها عن المبادرة حتى يصدر اليها القرار من جهة عليا غير المرجعية فهذا ما يرفضه تماماً خط المرجعية، وما يتضارب تماماً مع مسؤولية كل فرد، وتكليفه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا احتمل النجاح والتأثير في ذلك.

والجدير بالذكر الاشارة الى أن مبادرة الجماهير لا تعني حتماً الفوضويّة والارتجال.

فمن ناحية هناك المرجعية الدينية التي تنقاد لها الجماهير، ولا تتجاوز إرشاداتها وتوجيهاتها. ومن ناحية هناك علماء الدين المبثوثون في جسم الأمة والذين يساهمون في توجيه مسيرة الجماهير.

ومن ناحية ثالثة فإنّ الجماهير تعمل من خلال عدة قنوات ومنظّمات، أو أحزاب، أو مؤسسات، أو مجالس شورى وغيرها، وطبيعي أن وجود هذه القنوات في جسم الأمة يمنع عن أن تكون مبادراتها فوضوية مرتجلة.

٥ _ الانقياد لعلماء الدين:

والأساس الخامس في عمل الجماهير هو الالتفاف حول علماء الدين والانقياد لهم... ففي حديث سبق ذكرنا أن الجماهير بحاجة الى قيِّم يشرف على مسيرتها، ويضمن سلامة هذا المسير واستقامته، وهذا القيّم هو (علماء الدين).

وفي هذا المعنى ورد الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام:

«العلماء ورثة الانبياء، وذلك أن الانبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً، وانما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشئ منها فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه؟ فأنَّ فينا أهل البيت في كل خلفٍ عدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».[١]

[١]. أصول الكافي _ ص ١١ _ باب وصف العلم.

إنّ مبدأ (ولاية الفقيه) هو أعلى تجسيد للاساس المتقدم، لكن الجدير بالذكر أن هذا المبدأ احيط في الاطروحة الاسلامية بمناخ مناسب، وتربية خاصة في ضوئها يأخذ هذا المبدأ معناه الحقيقي، وفي ضوئها يكون هذا المبدأ قابلاً لأن يؤدي دوره الكامل.

إنّ الاطروحة الاسلامية السياسية لم تدعُ الى مبدأ (ولاية الفقيه) الاّ بعد أن مهَّدت له (بضرورة طلب العلم) و(احترام العلماء) و(استحباب مجالستهم ومخالطتهم) و(استحباب النظر اليهم) الى غير ذلك مما يخلق جواً تربوياً واجتماعياً يؤدي في نتيجته الى تحكيم مبدأ (ولاية الفقيه) في الأمة.

من المناسب أن نقرأ الحديث التالي عن الامام السجاد عليه السلام:

«ان الله تعالى أوحى الى دانيال أن أمقت عبيدي اليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم، وأن أحبّ عبيدي اليّ التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للعلماء، القابل عن الحكماء».[١]

وفي حديث أن لقمان قال لابنه:

---

[١]. أصول الكافي _ ص١ _ باب ثواب العالم والمتعلم.

«يا بني جالس العلماء، وزاحمهم بركبتك، فان الله عزوجل يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء».[١]

من الخطأ اذن أن نؤمن بولاية الفقيه لكن نفصلها عن هذا المناخ المناسب.

ومن الخطأ أن نؤمن بولاية الفقيه من دون تعاطف حقيقي مع كافة علماء الدين، من بلغ منهم درجة الاجتهاد ومن لم يبلغ.

من هنا فان الجماهير مسؤولة عن الالتفاف بعلماء الدين والانقياد لهم، ويشكل هذا أساساً مهماً من أسس عمل الجماهير في ضوء خط المرجعية.

ويجب أن ننبّه هنا الى أن المقصود من علماء الدين أولئك الرجال الصالحين الذين يتحملون مسؤولية الدفاع عن الاسلام والمظلومين والجهاد والتضحية في سبيل إحقاق الحق. وأيضاً أولئك الذين يدركون ويشعرون بموقعهم الطبيعي الذي وضعهم الله فيه ويتمثلون بالأخلاق الاسلامية التي تفرضها طبيعة هذا الموقع.

٦ ـ الموضوعية في المواقف والافكار:

[١]. روضة الواعظين _ باب الكلام في ماهية العلوم.

والأساس السادس لعمل الجماهير هو (الموضوعية).

(الموضوعية) بمعنى الابتعاد عن إملاءات الذات، بمعنى الاعتماد في عملية الحكم والتقييم على واقع الموضوع المدروس.

تقييم الافكار، أو الاشخاص، أو المواقف، أو الاتجاهات، والعمل السياسي في الاسلام يتطلب _ أشد ما يتطلب _ هذه الموضوعية، فالسياسة الاسلامية ليست سياسة مكر، وخداع وتضليل، ووصولية، وتبريرية، إنها هي سياسة قائمة على مبادئ الاخلاق سواء في الغايات أو في الوسائل.

والحديث الشريف عن الامام علي عليه السلام يقول:

«ما ظفر من ظفر بالاثم، والغالب بالشر مغلوب».[١]

قد يناسب أن نشير بهذا الصدد ولو سريعاً الى عدد من الآيات التي أكدت ضرورة النظرة الموضوعية في أكثر من مجال.

قال تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾.[٢]

وقال تعالى:

---

[١]. نهج البلاغة _ القسم الخاص بحكمه (عليه السلام)... رقم ٣٢٧.
[٢]. سورة الحجرات _ ٦.

﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾.[١]

فيجب التحقيق اذن من مصدر الخبر، فالفاسق لا يُصدَّق، والمخالف لدين الاسلام هو الآخر لا يُصدّق... وبشكل عام لا يجوز المضي مع الشائعات والاقاويل طالما لم يتأكد منها بعد، ولم يُتيقن من صدقها.

﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئا﴾.[٢]

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾.[٣]

وهكذا لا يجوز بحال من الاحوال تتبع عورات الاخرين، ومحاولة هتكهم وتسقيطهم في الأمة، كاسلوب من أساليب محاربة الفكرة، انما الفكرة تقابل الفكرة.

قال تعالى:

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾.[٤]

وقال تعالى:

---

[١]. سورة آل عمران _ ٧٣.
[٢]. سورة يونس _ ٣٦.
[٣]. سورة الاسراء _ ٢٦.
[٤]. سورة نساء _ ٤٨.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.[١]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾.[٢]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.[٣]

وهذا اللعن ينسحب على كل من يرمي المؤمنين والمؤمنات بغير حق.

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾.[٤]

---

[١]. سورة النور _ ١٩.
[٢]. سورة الحجرات _ ١٢.
[٣]. سورة النور _ ٢٣.
[٤]. سورة النساء _ ٩٤.

وفي عملية التقييم يجب الركون الى الدليل القاطع، والبرهان الصريح فقط، بعيداً عن التأثيرات والتأثرات الجانبية، فدائما علينا الإعداد للسؤال التالي:

﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.[١]

ومن أجل ذلك دعا القرآن الكريم الى مراجعة النفس، والفطرة والعقل مراجعة حقيقية تأملية صادقة قبل الانسياق مع الاجواء الاجتماعية والنفسية المحيطة بالانسان.

قال تعالى: ــ

﴿قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنى وَفُرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾.[٢]

كما نهى القرآن نهياً مشدداً عن التقليد بكل صوره سواء اتباع الآباء، أو الاكابر، أو المسؤول الحزبي إتباعاً أعمى دونما استيضاح، وتأكد من الحقيقة.. انّ القرآن الكريم أكد مخالفته لمقولة:

﴿إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ...﴾.[٣]

فقال تعالى:

---

[١]. سورة البقرة ــ ١١١.
[٢]. سورة سبا ــ ٤٦.
[٣]. سورة الزخرف ــ ٢٣.

﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾.[١]

بل افترض القرآن الكريم انّ هذه التبعية المطلقة هي نحو من أنحاء الصنمية المخالفة مع التوحيد الحقيقي، واعترض على أهل الكتاب حين ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[٢]

وحول هذه الظاهرة في اهل الكتاب يقول الامام الصادق عليه السلام: «والله ما دعوهم الى عبادة انفسهم، والله ما صاموا لهم ولا صلّوا لهم، ولكن احلّوا لهم حراما، وحرموا عليهم حلالاً فتبعوهم».[٣]

وقال تعالى مخاطباً نبيّه عيسى عليه السلام:

﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.[٤]

وهو نقد بالاساس موجّه الى الأمة التي اتخذته وامه الهين من دون الله.

وفي ختام هذا العرض السريع لبعض مداليل الموضوعية نشير الى أن خط المرجعية اذ يؤمن بالعمل الجماهيري ويدعو له، ويعتمد الحرية السياسية في العمل، ويقرن كل ذلك بدعوة الجماهير للالتفات بعلماء الدين واعطائهم منصب الابوة والقيمومة على العمل، يحرص

---

[١]. سورة الزخرف _ ٢٤.
[٢]. سورة التوبة _ ٣١.
[٣]. أصول الكافي _ ص١ _ باب التقليد.
[٤]. سورة المائدة _ ١١٦.

في كل ذلك على أن تمتلك الجماهير المؤمنة صفة الموضوعية في التعامل مع كل الاشياء، ومع مختلف الاحزاب، والحركات، ومع كل الشخصيات السياسية العاملة في الساحة، ويحرص على اقتلاع ظاهرة الصنمية من قلب الجماهير بكل أشكالها ومستوياتها.

ففي مجال العلاقة بالعلماء _ مثلاً _ في الوقت الذي يؤكد ثواب مجالستهم والاستماع اليهم، نجد من الجانب الآخر التاكيد على ضرورة الموضوعية والمبدئية في هذا التعامل، فالعالم الديني يُقدس لا لانّه عالم، انما لمقدار ما تتطابق أعماله مع الشريعة، ولمقدار ما يجسد خلق الشريعة في السلوك...

أمّا إذا لوحظ عليه أدنى انحراف فان القداسة ستسقط...

في الحديث الشريف، عن الامام الصادق عليه السلام:

«اذا رايتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فان كل محبٍ لشئ يحوط ما أحب».[1]

وفي حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه وآله:

«الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا قيل يا رسول الله: وما دخولهم في الدنيا؟

---

[1]. أصول الكافي _ كتاب فضل العلم.

قال: إتّباع السلطان... فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».[١]

وفي حديث الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«طلبة هذا العلم على ثلاثة أصناف ألا فاعرفوهم بصفاتهم وأعيانهم: صنف منهم يتعلمون للمراء والجهل، وصنف يتعلمون للاستطالة والختل، وصنف منهم يتعلمون للفقه والعقل.

فاما صاحب المراء والجهل تراه مؤذياً مماريا للرجال في أندية المقال قد تسربل بالتخشع وتخلى من التورع.

وأمّا صاحب الاستطالة والختل، فانه يستطيل على أشباهه وأشكاله، ويتواضع للأغنياء من دونهم...

وأما صاحب الفقه والعقل تراه ذا كآبة وحزن، قد قام الليل في حندسه، وقد انحنى في برنسه، يعمل ويخشى خائفاً وجلاً من كل أحد الاّ من كل ثقةٍ من إخوانه، فشد الله من أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانه».[٢]

إن هذه الاحاديث تعلمنا الحقيقة التالية:

---

[١]. نفس المصدر.
[٢]. نفس المصدر.

إن الارتباط دائماً يجب أن يكون بالمبدأ، والجماهير في عملها، وحريتها، وتصديها يجب أن تحرص على المبدأ أولاً وأخيراً، متعالية عن الانفعالات والقداسات الخاطئة، وإملاء الدوافع الذاتية.

إن على الجماهير أن تبني علاقتها بالله تعالى، بشريعة الله، وكل ما عدا ذلك فهو وسيلة وليس غاية، والعلاقة يجب أن تكون بالغاية أولاً وأخيراً.. وذلك هو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.[١]

أشدُّ في حبّهم لله من حبّهم للطرق اليه، فهم يحبّون تلك الطرق _ أنبياء، أوصياء، علماء، جماعات، أحزاب،... الخ _ لكن على أن لا تكون أنداداً من دون الله.

وجانب آخر من الموضوعية _ التي يجب أن تتخذها الجماهير كأساس لعملها _ هو عدم المداهنة والمساومة وعدم التخلي عن الوظيفة الشرعية والمشروع الخيّر تخوفاً من الانتقاد وحذراً من الـ (قيل) والـ (قال)...

ضمن صفات المؤمنين العاملين التي ذكرها القرآن الكريم أنهم: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[٢] فالمهم دائماً هو

---

[١]. سورة البقرة _ ١٦٥.
[٢]. سورة المائدة _ ٥٤.

تحديد وجهة العمل وغايته، اما ماذا يقول القائلون، وماذا يتقول المتقوّلون فذاك أمر لا ينبغي أن يؤثر على العمل ويدعو الى التراجع فيه.. والقرآن الكريم يتحدث عن المؤمنين في آية اخرى فيقول:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾.[١]

فتحشيدات الناس ضد العمل الخيّر _ سواء التحشيدات العسكرية، أو الاعلامية، أو النفسية _ ينبغي أن تدعو المؤمن للمضي في العمل مازال لله وحده لا شريك له.

إن الساحة السياسية مشحونة بالأقاويل، والانتقادات، وبث الشائعات، خصوصاً حينما تبتعد عن الخلق الاسلامي العظيم، الاّ أن هذا الركام من أنماط الاعمال الشيطانية لا ينبغي أن يثبّط عزيمة العاملين، ولا يحرف مسيرهم، ولا يدعوهم للتراجع والمساومة، والله تعالى يخاطب نبيه بالقول: _ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [٢] مشيراً الى رفض المداهنة والمساومة، وضرورة الجدّية والقاطعية في العمل...

وفي حديث الامام علي عليه السلام: «لا يقيم أمر الله سبحانه الاّ من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع».[٣]

---

[١]. سورة آل عمران _ ١٧٣.
[٢]. سورة القلم _ ٩.
[٣]. نهج البلاغة _ القسم الخاص بالحكم القصيرة.

اللهم ربنا وفقنا لمراضيك، وأعنّا على طاعتك، واجعلنا من جنودك، واغفر لنا خطايانا انه لا يغفر الذنوب الاّ أنت، يا أرحم الراحمين...

الفصل الخامس

المكاسب السياسية

لخط المرجعية

- استيعاب الجماهير
- الوحدة السياسية بوحدة القيادة
- الحفاظ على سلامة المسيرة

«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على خاتم رسله وسيد خلقه أبي القاسم مُحَمَّد وعلى آله الطاهرين»...

* * *

في الفصول السابقة من هذه البحوث، درسنا عدة أبعاد في خط المرجعية...

درسنا أولاً: «معالم خط المرجعية».

ودرسنا ثانياً: «التنظيم في ضوء خط المرجعية».

ودرسنا ثالثاً: «علماء الدين في ضوء خط المرجعية».

ودرسنا رابعاً: «الجماهير في ضوء خط المرجعية».

وكان علينا الآن أن نتسائل:

لماذا خط المرجعية؟

فلقد قلنا أن خط المرجعية الدينية هو الخط السياسي في الاسلام، وأنه امتداد لحكومة الانبياء، والاوصياء عليهم جميعاً الصلاة

والسلام، وقلنا أن كل ابتعاد عن هذا الخط يمثل خطوة نحو الانحراف، وبمقدار ما يزداد الابتعاد يزداد الانحراف حتى يتحول الى خروج عن حكومة الاسلام.

على أنا نبَّهنا الى حقيقة مهمة، هي أن الاحزاب الاسلامية تستطيع أن تحتفظ بشرعيتها وأصالتها الاسلامية واستقامتها حين تسير على خط المرجعية، وحين لا تفترض لنفسها القيادة والحاكمية على العمل الاسلامي مقابل المرجعية الدينية الرشيدة النائبة عن الامام المعصوم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

علينا الآن أن نشرح لماذا «خط المرجعية الدينية؟» ولماذا أكدت الشريعة الاسلامية، وتبنت وتصدت تثبيت قيادة المرجعية الدينية الرشيدة بوصفها امتداداً لقيادة الانبياء، والاوصياء «العلماء ورثة الانبياء»؟

سؤالنا عن نقاط القوة في الخط...

سؤالنا عن الايجابيات السياسية في هذه الاطروحة «اطروحة خط المرجعية...» فنحن إذا آمنا والتزمنا بـ «خط المرجعية الدينية» لم يكن ذلك فقط لمحض التعبّد، ومن دون دراية بقوة هذا الخط، وعمقه السياسي.

ما نبحث الآن، ونرجو أن يوفقنا الله تعالى فيه هو «المكاسب السياسية لخط المرجعية».

* * *

١ _ استيعاب الجماهير

إن أول نقطة قوة في قيادة المرجعية الدينية هي قدرتها على استيعاب الجماهير.

ويقاس نجاح الاطروحة السياسية بمقدار ما تملكه من مؤهلات في عملية استيعاب الجماهير.

وسياسة الأديان الالهية كلها تهتم أكثر ما تهتم بهذه الخاصة، ومن هنا جهدت الاديان في التوغل أكثر الى عمق الجمهور... ولأجل ذلك كانت قيادة الانبياء أكثر القيادات في التاريخ نجاحاً في هذا المجال، فالثورات النبوية هي ثورات جماهير الناس، ومستضعفي الناس، سواءاً أخفقت تلك الثورات أو انتصرت. المقصود انها تملك كل المؤهلات في استيعاب الجماهير، وهي أقوى القيادات وأقدرها على الامساك بيد الجماهير، وإيقاظها ضد الظلم والظالمين.

ملاحظات:

وبهذا الصدد يجب الاشارة _ ولو سريعاً من أجل أن نعود الى صلب الموضوع _ الى عدة ملاحظات في هذا المجال:

أولاً: _ ان قيادة الانبياء لم تكن تحاول إرضاء الجمهور من خلال تضليلها وخداعها، كما تصنع سياسة الاستكبار العالمي، فهي أيضاً تحاول أن تمتد في عمق الجمهور، ولكن لا من خلال ما تقدّم لهم من خدمة، وتصعد بهم باتجاه أهدافهم الحقيقية، وانما من خلال الاعلام الكاذب، وعمليات التضليل والخداع.. أمّا قيادة الانبياء فهي تهتم باستيعاب الجماهير من خلال ما تهيّء لهم من فرص المشاركة الحقيقية في إدارة أمورهم وتطويرها، ومن خلال ما تقدم لهم من خدمات حقيقية باتجاه أهدافهم الكبرى المنشودة.

ثانياً: _ وقيادة الانبياء لا تحاول استيعاب الجماهير بالقوة، والقهر، ومن خلال _ سياسة القمع والاسكات _ كما تصنع القيادات الارهابية، والدكتاتوريات، انما تحاول استيعاب الجماهير من خلال إرادتها وحرّيتها ورضاها الحقيقي، ومن هنا فهي تعتمد سياسة الاقناع، والارضاء والجدل ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.[1]

---

[1]. سورة فصّلت _ ٣٤.

ثالثاً: ــ وقيادة الانبياء تهتم باستيعاب كل الجماهير لا فئة خاصة منها على حساب فئة اخرى، ومن هنا فهي لا تطرح نفسها لصالح طبقة خاصة، ولا تنادي بطبقة خاصة على حساب باقي الطبقات، انما تعمل لصالح المستضعفين المظلومين من أية طبقة كانوا.

واذا انتقلنا من الحديث عن قيادة الانبياء الى قيادة المرجعية الدينية الرشيدة وجدنا أنها أقدر قيادة على استيعاب الجماهير، ثم الاستفادة من طاقاتها في صنع الثورة، وفي حراستها وحفظها.

ولكن لابد أن نسأل: كيف ذلك؟ ومن أين استمدت المرجعية الدينية هذه المقدرة على الاستيعاب؟...

عوامل الاستيعاب:

في الجواب عن ذلك نشير الى عوامل ثلاثة منها تستمد المرجعية الدينية قدرتها على الاستيعاب...

١ ــ تاريخ خط المرجعية:

إن خط المرجعية هو امتداد لخط الانبياء وقيادتهم، وعلى طول التاريخ لم تعرف البشرية قيادة أفضل وأكثر اخلاصاً من الانبياء

والرسل ومن هنا فقد أحيطت النبوات والانبياء بقداسة خاصة، وظل الانبياء يعيشون في قلوب الاجيال البشرية المتعاقبة والمختلفة..

وبعد قيادة الانبياء تأتي قيادة الأوصياء الذين يعبّرون عن امتداد حقيقي لقيادة الانبياء. والتاريخ الاسلامي لم يشهد قيادة أكثر إخلاصاً وأكثر استيعاباً للشريعة الاسلامية، وأكثر عمقاً وصلابة في المجال السياسي والجهادي من هؤلاء الاوصياء عليهم السلام.

أما المرجعية الدينية فهي النائبة وهي الامتداد لقيادة الامام الوصي الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف...

ففي عصر الغيبة الصغرى فوض الامام المنتظر قيادة المسلمين لأربعة من أكابر الفقهاء على سبيل التعاقب هم:

١ ـ عثمان بن سعيد العمري.

٢ ـ مُحَمَّد بن عثمان العمري.

٣ ـ الحسين بن روح النوبختي.

٤ ـ علي بن مُحَمَّد السمري.

وخلال تسعة وستين عاماً وهي فترة الغيبة الصغرى لم يعرف المسلمون الشيعة قيادة موجّهة غير هؤلاء، كما لم يعرف باقي المسلمين قيادة أكثر اخلاصاً من هؤلاء.. أمّا في زمن الغيبة الكبرى

فقد أعطى الامام المنتظر عليه السلام قيادة المسلمين الى علماء الدين قائلاً:

«اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله...».[١]

ومن هذا التاريخ تعاقبت المرجعيات الدينية الرشيدة على قيادة الأمة، وتوجيهها، وتحصينها من مختلف الوان الضياع والانحراف.

وخلال هذا التاريخ الطويل شهدت الأمة الاسلامية أروع صور التضحية والفداء، والعطاء والبذل والصدق والاخلاص إضافة الى الحكمة والاتقان لدى هؤلاء العلماء.

وازداد ارتباط الأمة بمراجعهم وعلمائهم كلما قطعوا شوطاً آخر في سبيل تحصين مسيرة الأمة وسلامتها.

وازدادت ثقة الأمة وقناعتها بهذه القيادات الدينية كلما قرأت فيهم مزيداً من الصدق، ومزيداً من الحنكة.

إن هذا التاريخ الطويل وهذا الالتصاق بالاوصياء ثم الانبياء أسبغ على المرجعية الدينية مزيداً من القداسة والاحترام في عيون المؤمنين،

---

[١]. انظر «الحكومة الاسلاميّة» للامام الخميني.

بل ومزيداً من الحب والمودة الخالصة في وجدان الملايين من المسلمين.

إننا حين ندرس قيادة المرجعية الدينية يجب أن لا نفصلها عن هذا التاريخ، ولا نفترض أنها وليدة يومها وظروفها الخاصة، انها قيادة متجذرة في التاريخ الاسلامي ومتعايشة مع كل مراحله وظروفه... ومن خلال هذا التعايش، وهذه التجارب الطويلة كسبت هذه القيادة ليس فقط احترام الجماهير وعلاقة الأمة، وانما كسبت الخبرة والحنكة والاقتدار الاجتماعي والسياسي..

٢ ـ رابطة التقليد:

على أن الشريعة الاسلامية وضعت رابطة قوية بين جماهير الناس وبين الفقيه، هذه الرابطة هي رابطة التقليد.

والتقليد يعني رجوع عامة الناس الى فقهاء الدين من أجل التعرف على أحكام الشريعة، وهذا الرجوع إلزامي وليس اختيارياً، فليس لأحد من عامة الناس غير المجتهدين أن يعمل بدون تقليد، إمّا لشخص بعينه أو لعدة أشخاص يجمع بين فتاواهم وهو ما يسمى بالاحتياط.

ومن هنا فان كل انسان مؤمن وملتزم بأحكام الشريعة يجد نفسه مضطراً للانشداد والارتباط بعلماء الدين مهما بعد عنهم، ومهما وضعت دون ذلك السدود والحواجز.

إن الحديث الشريف عن الامام الحسن العسكري عليه السلام يقول: ــ

«امّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه...».[١]

والشريعة الاسلامية، لا تكتفي بوضع هذه الرابطة القانونية، انما تدعمها برابطة متينة بين الناس وبين علماء الدين، هذه الرابطة الأخلاقية هي رابطة الاحترام، والمودة، والتقرب لعلماء الدين، حتى أن النظر اليهم عبادة، ومجالستهم عبادة، والسؤال منهم عبادة.

إن هذا الانشداد الشرعي والاخلاقي يعطي للمرجعية الدينية قوة وقدرة على استيعاب الجماهير وتحريكها... على أن هذه العلاقة الشرعية والعبادية سرعان ما تتطور الى علاقة نفسية، ومودة قلبية بين الناس وبين مقلَّدهم ومرجعهم في الاحكام الشرعية وهذا ما يساعد كثيراً في طاعة الجماهير وانقيادها للمرجعية الدينية.

---

[١]. الاحتجاج للطبرسي _ ج٢ _ ص ٢٦٣.

٣ _ حرية العمل:

على أن المرجعية الدينية لا تفرض على الناس صيغة محددة في العمل الاسلامي أكثر من الحدود الاسلامية العامة، ومن هنا فهي تستوعب كل العاملين وتستوعب مختلف الاعمال الموجودة طالما تصب جميعاً في الساحة الاسلامية.

إن المرجعية الدينية لا تطلب من أبنائها التزامات خاصة ومعقدة أكثر من الالتزامات الاسلامية العامة..

انها لا تتدخل في تفاصيل عمل العاملين، بل وتفاصيل حياتهم وأوقاتهم، وإنما ترسم لهم الخطوط العريضة في العمل، وتوجههم الوجهة الصحيحة ثم تترك لهم حرية الاختيار، وحرية الابداع، والسعة في العمل، والمكان، والزمان، ومن هنا فان جميع المؤمنين، وجميع العاملين للاسلام سيشعرون بلطافة ارتباطهم بالمرجعية وهم مهما بعدوا سيشعرون بأن أعمالهم ونشاطهم مرتبط ومتناسق مع المرجعية الدينية، وهو محل رضاها واطمئنانها...

لماذا؟...

لأن المرجعية الدينية لا تشدهم اليها شداً معقداً ومزعجاً يدعوهم للحنق ثم الانهزام، انها وسيعة سعة الاسلام، وتحتضن كل من يعمل للاسلام.

إن المرجعية الدينية وهي تقود الجماهير، وتقود العمل الاسلامي، تفترض أن جميع المؤمنين هم من أنصار الله ومن حزب الله، وهي تدفعهم دفعاً رقيقاً لطيفاً نحو التضحية أكثر فاكثر للاسلام، وللعمل الاسلامي، ولا تثقلهم بركام من القيود، والشكليات، والالزامات. ومن أجل هذا نجد أن خيط الاتصال بالمرجعية الدينية لا ينقطع مهما ابتعد المؤمن واستقل في عمله، طالما هو يعمل في حدود الاسلام لا خارجاً عنها.

طبعاً نحن لا نقصد في هذا العرض أن المرجعية الدينية تترك توجيه الناس، وإرشادهم، ورسم منهج العمل لهم.. انما المرجعية تفعل كل ذلك، لكن في حدود رسم الخطوط العريضة، والتوجيهات العامة، ثم تترك للناس حريتهم وإرادتهم واستقلالهم.. أمّا التفاصيل، والالتزامات الخاصة فهي متروكة الى الاجهزة والقنوات والمؤسسات الموجودة في الأمة، والتي تعتمد عليها المرجعية الدينية في ادارة دفة الحكم.

إن هذا عامل مهم جداً في استيعاب قيادة المرجعية الدينية للجماهير وعدم تضييع أية طاقة من طاقاتها مهما كانت ضعيفة وقليلة.

طاعة الجماهر وانقيادها:

ومن خلال العوامل الثلاثة المتقدمة تضمن المرجعية الدينية طاعة الجماهير لها، وانقيادها لاوامرها، الأمر الذي يضع بيد المرجعية قوة ضاربة لا تنكسر هي قوة الجماهير وارادتها.. وهذا هو الأمر الذي يفسر قلق السلطات الكافرة المستبدة من مراجع الدين... كما أن هذا الأمر هو الذي يفسر لنا سر نجاح المرجعية الدينية الرشيدة في اسقاط عرش الطاغوت في إيران، وإقامة جمهورية اسلامية صامدة أمام تآمر الشرق والغرب.

ان المرجعية الدينية تتمتع برصيد جماهيري، وحالة انقياد عامة لا تعرفها القيادات الأخرى على الاطلاق ومهما أحرز القادة السياسيون من ولاء الجماهير وانقيادهم فان ذلك لا يمكن أن يصل الى مستوى انقياد الشعب المؤمن للمرجعية الدينية. من حيث أن المرجع الديني يستند الى مبدأ (ولاية الفقيه) الذي يدفع كل المؤمنين

لاطاعة هذا الفقيه القائد واتباع أمره.. اضافة الى التربية الدينية التي دعت الى احترام العلماء، وتقديرهم، واستماع كلمتهم.

القدرات الناشئة من طاعة الجماهير:

وطاعة الجماهير واخلاصها لقيادتها الدينية يمنح المرجعية قدرات هائلة هي عبارة عن: ـ

١ ـ القدرة على صنع الثورة الجماهيرية.

٢ ـ القدرة على تثبيت أركان الحكم الاسلامي والتغلب على محاولات استراقه ومصادرته وتزييفه.

٣ ـ القدرة على صد الهجوم الخارجي.

إن هذه القدرات الثلاث لا يمكن اجتماعها وتحقيقها مالم يتم التلاحم المطلق بين المرجعية الدينية الرشيدة.

* * *

٢ ـ الوحدة السياسية بوحدة القيادة

والمكسب السياسي الثاني في قيادة المرجعية الدينية وخطّها هو (توحيد الأمة).

ذلك إنا حينما نسعى لتوحيد صفوف الأمة، من حيث أن الوحدة ضرورة، والتوحد عامل أساسي في النجاح، يرد هذا السؤال: _ ما هو الطريق الى الوحدة؟

وبعبارة أخرى للسؤال: _ ماذا خطط الاسلام في سبيل وحدة الأمة؟

وما هي العناصر التي أكَّد الاسلام على اعتبارها سرّ الوحدة والتوحيد؟...

هنا نريد الاشارة الى عنصر واحد مهم من تلك العناصر، هذا العنصر هو (وحدة القيادة).

إن وحدة القيادة دائماً شرط أساسي لوحدة الأمة السياسية، ولا يمكن أن نفرض وحدة سياسية مع قيادات متعددة كلها تمارس قيادتها وولايتها، وهذا أمر طبيعي وواضح جداً.

والقرآن الكريم طبَّق هذه الفكرة على مجال الكون كلّه فقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾.[1]

[1]. سورة الانبياء _ ٢٢.

ومعنى ذلك أن تناسق الكون، ووحدة نظامه، هو نتيجة طبيعية لوحدة خالقه، كما أن تعدد الخالق فرضاً، كفيل بأحداث الفوضى والاضطراب والفساد في هذا الكون.

وننزل من هذا المجال الواسع الى مجال الانبياء ومسيرة الانبياء بوصفهم قادة وهداة للبشر...

يلاحظ أن مسيرة الانبياء، وأن التخطيط الالهي لهذه المسيرة يعتمد قانون وحدة القيادة. فلكل أمةٍ ولكل زمن نبي واحد، وفي طول تاريخ النبوات والانبياء لم يجتمع نبيان أو أكثر لامة واحدة وفي زمن واحد، وحينما يكون هناك اجتماع نلاحظ ان القيادة تكون لواحد منهما بينما يكون الثاني خليفة، كما هو في نبوة موسى وهارون على نبينا وعليهما الصلاة والسلام فقد كان هارون نبياً كما كان موسى، الاّ أن هارون عليه السلام لا يمارس دوره النبوي والقيادي طالما كان موسى موجوداً وحاضراً.

ان هذه ظاهرة ملحوظة في مسيرة الانبياء... كما هي ظاهرة ملحوظة أيضاً في مسيرة الائمة الأوصياء عليهم السلام. فهناك دائماً امام واحد لا اثنان ولا ثلاثة، وأيضاً حينما يجتمع إمامان كما في

الحسن والحسين عليهما السلام، فان الامامة الفعلية تكون لواحد منهما فقط بينما يكون الثاني تابعاً ومطيعاً.

وفي هذا المجال يمكن أن نقرأ الرواية التالية من الحسن بن أبي العلاء قال:

«قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: تكون الارض ليس فيها إمام؟

قال: لا.

قلت: يكون إمامان؟

قال: لا، الاّ وأحدهما صامت».[١]

واذا انتقلنا من تاريخ الائمة عليهم السلام الى نوّابهم ووكلائهم، نلحظ نفس الظاهرة _ أعني وحدة القيادة _ في الوكلاء الأربعة الذين نصّبهم الامام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف في زمن الغيبة الصغرى. ففي كل مقطع زمني من هذه الفترة ينصب الامام المنتظر نائباً واحداً عنه، ثم الثاني ثم الثالث وهكذا، ولم تجتمع النيابة والقيادة لاثنين منهما في فترة واحدة.

---

[١]. أصول الكافي _ ج١ _ ص ١٧٨.

إن هذه الظاهرة هي ترجمة لحقيقة هامة جداً، هذه الحقيقة هي أن وحدة الأمة لا يمكن أن تكون الاّ ضمن قيادة واحدة.

وهنا نؤكد النقطة التالية:

إن المرجعية الدينية التي أعطيت لها القيادة في زمن الغيبة الكبرى تضمن ــ الى حد كبير ــ وحدة القيادة وبالتالي وحدة صفوف الأمة واتحادها.

لكن كيف ذلك؟...

أليست المرجعية ذاتها متعددة؟ فهناك علماء ومراجع متعددون، وهؤلاء بشكل طبيعي قد يختلفون في تصوراتهم ومواقفهم الاجتماعية والسياسية، وتبقى الأمة موزعة بين هذا المرجع الديني وذاك؟

اذن كيف تكون القيادة واحدة؟

واذا كان هذا السؤال طبيعياً فمن حقنا أن ننتظر من الشريعة الاسلامية الحلول التي وضعتها لمعالجة ذلك.

ضمانات وحدة القيادة

يمكننا أن نشير الى عنصرين وضعتهما الشريعة الاسلامية لضمان وحدة قيادة المرجعية الدينية وعدم تفرقها، الضمان الاول قانوني،

الضمان الثاني واقعي، على أن من المهم الالتفات الى أن هذين العنصرين لا يشكلان ضماناً كاملاً ومطلقاً، وإنما يساهمان الى حد كبير في توحيد القيادة.

ان الشريعة الاسلامية لم تغلق باب تعدد الفقهاء والمراجع، الا انها في ذات الوقت وضعت ما يكفل الى حد كبير وحدة قيادة المرجعية وبالتالي وحدة الأمة سياسياً. فكما هناك وحدة سياسية للامة بوحدة النبي صلى الله عليه وآله، وهكذا وحدة الوصي عليه السلام، هناك أيضاً عوامل تكفل الى حد كبير وحدة قيادة المرجعية الدينية القائدة رغم أن الشريعة _ كما قلنا _ فتحت الباب لتعدد الفقهاء والمراجع.

من هنا فان الأمة في ظل قيادة المرجعية الدينية تقترب من الوحدة القطعية المحققة في قيادة النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام، وليست متروكة عرضة للفرقة والتعدد من دون حلول وتوجيهات دينية وعناصر تسير بها نحو وحدتها.

نشير كما قلنا الى عنصرين:

١ ـ العنصر القانوني:

نقصد بالعنصر القانوني الضوابط التي وضعت في مبدأ ولاية الفقيه.

إن مبدأ ولاية الفقيه ـ كما هو معلوم ـ يعني قيادة الفقهاء الذين تتوفر الشروط المطلوبة فيهم، وهذا المبدأ مبدأ عام يعطي الولاية لكل فقيه جامع للشرائط..

لكن حينما يتصدى أحد الفقهاء للحكم، ويباشر قيادة الأمة وتوجيهها، لا يحق لأي فقيه أو مرجع آخر مزاحمته في ذلك، بمعنى أن ولاية الفقيه مشروطة بعدم مزاحمة المرجع الديني المتصدي. وهذا الشرط هو ما سميناه بـ (العنصر القانوني).. ان هذا الشرط هو الذي يضمن وحدة القيادة الدينية، وبالتالي توحد موقف الأمة، وانقاذها من التذبذب والتفرّق... فالفقهاء ـ كل الفقهاء ـ ملزمون بتنفيذ واطاعة المرجع الديني المتصدي لإقامة حكم الاسلام سواء قبل انتصار الثورة الاسلامية أو بعد انتصارها، وفي هذا المجال يذكر الفقهاء مبدأً قانونياً هو (حكم الحاكم نافذ) ويقصد به أن حكم

الفقيه الجامع للشرائط نافذ على غيره من الفقهاء وان لم يثبت لديهم ما ثبت للفقيه الحاكم.

وعلى هذا فأنه مهما تعدد الفقهاء والمراجع الاّ أن القيادة الشرعية تبقى واحدة.

٢ ـ العنصر الذاتي:

نقصد بالعنصر الذاتي السمو الروحي والاخلاقي، والنزاهة النفسية والمعنوية لاولئك الفقهاء الذين اعطتهم الشريعة منصب الولاية والقيادة.

إننا حين ندرس مسألة قيادة الفقهاء وولايتهم يجب أن لا يغيب عن بالنا طبيعة التربية الروحية التي مارسها هؤلاء الفقهاء مع ذواتهم.. يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن هؤلاء ليسوا رجال سياسة بالمعنى الذي تعنيه السياسة اليوم من دجل، ومكر، ومصالح. وليسوا طلاب حكم ومناصب وزعامة.. وليسوا أيضاً بمستوى الرجل الاعتيادي الذي لم يتلق الاّ الحد الادنى من التهذيب الروحي والتربية الدينية.

إن أول ما يفترض في هؤلاء الفقهاء أنهم قد ترفعوا عن الدنيا وعلائقها، ونزّهوا أنفسهم الى حد كبير من حبّها وخداعها، كما تمثلوا أخلاق الانبياء والأوصياء في التعامل الاجتماعي والسياسي.

إن الشريعة الاسلامية لم تعط مقام الولاية لهؤلاء الفقهاء الاّ بعد أن حصنتهم ذاتياً من الانحراف والانزلاق في مهاوي الدنيا.. هذا التحصين الذي بلغ في الانبياء والاوصياء عليهم السلام حد العصمة، بينما هو في الفقهاء هنا سقط أقل القيادة التي أعطيت لأولياء الله تعالى:

«اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك.. بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك...».[١]

اذن: هناك عنصر ذاتي مهم جداً في هؤلاء الفقهاء سعت الشريعة الاسلامية لتأكيده باعتباره أهم ضمان، وأهم عنصر في استقامة المسيرة وسلامتها.

ويمكن القول أن المرجعية الاسلامية اعتمدت هذا الجانب _ الجانب الذاتي _ في بناء المجتمع الانساني، ومختلف علاقاته

---

[١]. مفاتيح الجنان _ عباس القمي _ دعاء الندبة المروي عن امام العصر عليه السلام.

الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأخرى فبدأت ببناء ذات الانسان وتنزيهها وتصحيحها كعنصر أساسي في تكامل مسيرة المجتمع الانساني، ثم وضعت زيادة في ذلك الضمانات القانونية، والهياكل الفوقية المختلفة امّا الاساس فهو بناء ذات الانسان من الداخل.

المهم الاشارة الى هذا العنصر وقوته وتشدّد الشريعة الاسلامية فيه في خصوص الفقهاء الذين يفترض ان لهم مقام الولاية على الناس وقيادتهم.

يمكننا أن نقرأ بهذا الصدد الأحاديث التالية عن الامام علي عليه السلام:

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه...».[١]

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«لا يكون الرجل فقيهاً حتى لا يبالي أي ثوبيه ابتذل، وبم سد فورة الجوع...».[٢]

---

[١]. نهج البلاغة _ القسم الثالث ت المقال ٧٣.
[٢]. الخصال _ للشيخ الصدوق _ باب الاثنين.

وهكذا أيضاً حذرت الشريعة الاسلامية من التصدي لقيادة الامور مع وجود من هو أقدر وأفضل، ففي الحديث النبوي الشريف عنه صلى الله عليه وآله:

«من أمّ قوماً وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم الى السفال الى يوم القيامة...».

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله:

«من استعمل عاملاً من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنّة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين».

وجهدت الشريعة الاسلامية أن تبلغ بعلماء الدين الدرجة الرفيعة من النزاهة، والترفع عن الذات، والتسامي عن حب المقام، وطلب العلم للرياء والجاه، ولا يتسع مقامنا للدخول في شرح أكثر.

والآن، كيف يساهم هذا العنصر الذاتي في وحدة القيادة؟

إننا نعرف أن أهم عامل في التعددية، وصراع القيادات، وتزاحمها على قيادة الأمة هو العامل النفسي انطلاقاً من حب الرئاسة والجاه والمقام، الى الحسد، والكبرياء، والاحقاد الشخصية، وحتى الاختلاف في وجهات النظر، بل وحتى الاختلاف في الاتجاه السياسي لا يؤدي

الى صراع وتضارب وتمزيق وضع الأمة مالم يكن هناك دوافع ذاتية ومصلحية تتغافل مصلحة المسلمين ووحدتهم وتحاول فرض نفسها ورأيها وتقديم مصالحها مهما كلف الامر. فاذا أمكن بناء شخصيات قيادية متسامية ومترفعة عن ذواتها، ومصالحها، وأهوائها، وكما يقول الحديث الشريف المتقدّم:

«صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه...».

في حالة من هذا القبيل يمكن توحيد صفوف الأمة في ظل قيادة مرجعية دينية واحدة يلتف حولها ويؤازرها باقي الفقهاء العدول... والجدير بالذكر أن الفرض المذكور ليس فرضاً خيالياً مثالياً، بل أن تاريخ المرجعيات الدينية الطويل يؤكد واقعية هذا الافتراض، فالتنازل، والتواضع، والايثار، ورفض المنصب والمقام، ومراعاة مقتضى المصلحة الاسلامية العامة، ونسيان الذات، هو ما نقرؤه في تاريخ المرجعيات الدينية المشرق.. وكان نتيجة عمق هذا العنصر الذاتي ورسوخه أن الأمة الاسلامية وهي تعيش غيبة إمامها المعصوم المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف استطاعت أن تحافظ على وحدتها نسبياً خلال

هذه القرون الطويلة، وذلك تحت لواء المرجعية الدينية المتمثلة كل فترة بعظيم من عظمائها، وعملاق من عمالقتها...

انه خلال هذه القرون الطويلة شهد تاريخ التشيع عشرات المرجعيات الدينية المتصدية لتوجيه الأمة وتصحيح مسيرتها وفي كل فترة ولكل مرحلة يكون هناك مرجع واحد متصدٍّ بينما يعضده ويسانده باقي العلماء العدول. ولولا هذا العنصر الذاتي لتحولت مسيرة المرجعيات الدينية الى مسيرة صراع مرير على القيادة، ولفقدت الأمة وحدتها وضاعت في متاهات شتى...

كما أنه لولا قيادة المرجعية الدينية التي تملك هذا العنصر الذاتي لضاعت الأمة وتمزقت في ظل قيادات اخرى فردية أو حزبية متصارعة ومختلفة، وهي قبل ذلك وبعده ليست بعيدة عن الانحراف طالما أنها لم تستوعب بعد ولم تهضم بعد أفكار الاسلام، وعمق الشريعة الاسلامية كما يهضمها ويستوعبها علماء الدين والمرجعيات الدينية الرشيدة.

قال تعالى: ـ ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى...﴾.[1]

---

[1]. سورة يونس _ ٣٥.

* * *

٣ _ الحفاظ على سلامة المسيرة

وثالث نقاط القوة في خط المرجعية هو سلامة القيادة، وسلامة المسيرة كلها من الانحراف.

نحن نعرف أن أهم قضية تواجهها الثورات عموماً هي كيفية الحفاظ على سلامة مسيرتها.

إن كل الثورات بما في ذلك ثورات الانبياء الذين بعثوا لايقاظ المستضعفين، واسترداد حقوقهم، وتحكيم العدالة بين البشر، مدعوّة لان تفكر بمستقبلها وكيفية التغلب على الصعاب التي تواجهها خصوصاً خطر الانحراف، والانزلاق في وديان التيه، والابتعاد قليلا، أو كثيراً عن أهدافها المنشودة.

هناك إذن أمران:

أ _ أصل الثورة.

ب _ الحفاظ على الثورة وسلامة مسيرتها.

وكثيراً ما شهد التاريخ الانساني ثورات انتصرت في البداية، ثم أخفقت أثناء مسيرتها، وامتدادها الزمني.. وكثيراً ما يكون الانحراف، والضياع، والانزلاق بالاتجاه المعاكس ناشئاً في مجال قيادة الأمة

ودورها وطريقة تربيتها. وهنا نريد أن نقف مع ثورات الانبياء، وأطروحة الاديان في قيادة الامم التي ختمت بالاسلام، ونبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم...

لقد تحدثنا في أبحاث سابقة أن القيادة الدينية والسياسية يتولاها بعد الانبياء، الاوصياء، وبعدهم علماء الدين متمثلة بالمرجعية الدينية الرشيدة.

وفي هذا التسلسل نواجه الحقيقة التالية:

إن الأنبياء، ومن بعدهم الاوصياء يفترض فيهم العصمة من الخطأ والزلل. وذاك يعني أن مسيرة الأمة والثورة لا تواجه خطر الانحراف، أما في المرجعية الدينية الرشيدة التي أعطيت حق الولاية والقيادة في عهد غيبة المعصوم عليه السلام فانها ليست معصومة، اذن كيف نضمن معها سلامة المسيرة؟

بهذا الصدد نشير الى الحقيقة التالية:

انه لا يوجد ضمان مطلق، وعاصم حتمي، يؤمّن هذه القيادة في كل أدوارها، وأطوارها، وأشخاصها من الانحراف، أو الخطأ والاشتباه.. انه بالتاكيد لا يوجد ضمان مطلق الاّ في قيادة المعصوم عليه السلام.

الا ان ما ندعيه هو وجود الضمان النسبي بدرجة كبيرة جداً، هذا الضمان الذي لا يتوفر الا في قيادة المرجعية الدينية الرشيدة. ولا يوجد

الا في هذه الاطروحة، ومن هنا جاء تأكيد الشريعة الاسلامية عليها. اذن يكون من جملة المكاسب السياسية لخط المرجعية ونقاط القوة فيه، والمفقودة في غيره _ كما سنرى ان شاء الله تعالى _ هو (الحفاظ على سلامة المسيرة وضمان استقامتها...).

كيف ذلك؟

وما هي التحصينات؟

ضمانات السلامة

سوف نشير هنا الى عدة ضمانات:

الاول: _ الضمان الالهي عن طريق التسديد الغيبي:

إن بعض الروايات تؤكد أن الله تبارك وتعالى تكفل أن يبعث بين فترة وأخرى رجلاً من علماء الدين يدفع عن الدين التحريف، ويرد الشبهات، ويصد محاولات تضليل الأمة، وسرقة وجودها.

عن الامام الصادق عليه السلام:

«... ان العلماء ورثة الانبياء.. فانظروا علمكم عمن تأخذونه؟ فأنّ فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين.. وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».[١]

وفي رواية عن الامام الهادي عليه السلام انه قال:

---

[١]. أصول الكافي _ ج١.

«لو لا أن يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين اليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله تعالى، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس لعنه الله... ما بقي أحد الاّ ارتد عن دينه».[١]

كما ان الامام المنتظر عليه السلام المغيّب عن أنظارنا لا ينسى أبداً أمّته، ونوابه، في عهد الغيبة وهم علماء الدين.

هناك في تاريخ العلماء شواهد حقيقية كثيرة، على تسديده عجل الله تعالى فرجه الشريف لهم، وتعهده بهم[٢] كما أن هناك مراسلات له عجل الله تعالى فرجه مع نوابه سواء في عهد الغيبة الصغرى أم في عهد الغيبة الكبرى، نقرأ بهذا الصدد ما كتبه عليه السلام للشيخ المفيد (٣٣٨ _ ٤١٣ هـ) وهو من أبرز مراجع الشيعة وعلمائهم... يكتب له عليه السلام:

«... نحن وان كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أراناه الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك مادامت عليه دولة الدنيا للفاسقين، فانا نحيط علماً بأنبائكم،

---

[١]. المحجة البيضاء _ ج١ _ ص ٣٢.

[٢]. راجع بهذا الصدد كتاب تاريخ الغيبة الكبرى للشهيد آية الله السيد محمد الصدر حيث ينقل عدداً من هذه الشواهد التاريخية.

ولا يعزب عنا شئ من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم... إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولو لا ذلك لنزل بكم اللاواء، أو اصطلمكم الاعداء، فاتقوا الله ﷻ وظاهرونا على انتياشكم».[١]

ويطلب الامام المنتظر عليه السلام من الشيخ المفيد أن يوصي من يثق به من الشيعة المخلصين بالعمل بما ورد به.

وهناك مراسلات أخرى بينه عليه السلام وبين العلماء الصالحين، ويمكن الرجوع اليها في مصادرها الخاصة.

ومعنى هذا ان المرجعية الدينية وان لم تكن معصومة، الاّ أنها مرتبطة بالقيادة المعصومة وسائرة في ظل رعايتها، وتوجيهها.

إن غيبة الامام المعصوم عليه السلام الذي هو القائد الحقيقي للامة الاسلامية انما هي غيبة عن الانظار لا غيبة عن الساحة السياسية وأحداثها وصراعاتها.

وحينما أعطى الامام المنتظر عليه السلام النيابة لعلماء الدين قائلا:

«أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة احاديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله». فانه عليه السلام لا يترك هؤلاء _ وهم نوابه _

---

[١]. الاحتجاج _ ج ٢ _ توقيعات الناحية المقدسة.

دون رعاية وتوجيه بالشكل الذي يدفع الخطر الماحق عن مسيرة المسلمين.

نعم قد يكون هناك أخطاء، بل قد يكون هناك انحراف، الا ان المسيرة تبقى بشكل عام مضمونة السلامة، وتبقى تحت رعاية الامام المعصوم عليه السلام وهو الذي يدفع الخطر حين يصل الى درجة تهدّد مسيرة المسلمين كلها..

الثاني: ــ رقابة الأمة والحوزات العلمية:

والضمان الثاني لاستقامة القيادة الدينية ومن ثم سلامة مسيرة الأمة الاسلامية هو رقابة الأمة، والحوزات العلمية.. وذلك لأن المرجعية الدينية لا ينبغي أن نأخذها مفصولة، ولا بعيدة عن نظر الأمة المسلمة وعن نظر باقي علماء الدين في الحوزات العلمية. فالمرجع الديني يعيش في وسط مفتوح وفي عملية اخذ وعطاء، وتجربة تفاعل طويل مع الحوزة العلمية من جهة بما فيها المراجع الآخرين، وباقي العلماء والطلاب ومع الأمة من جهة ثانية. ومن خلال هذا التفاعل، والاحتكاك والتجربة المشهودة والمعاشة ينمو، ويمتد، ويتعمق المرجع في قلب الجماهير ويحتل مركزه العلمي والقيادي المرجعي في الحوزات العلمية.

وهذا الكلام صحيح أيضاً حتى بعد أن يصل العالم الديني الى مقام المرجعية، فانه يبقى دائماً تحت رؤية الأمة ومحاسبتها، وأيضاً تحت رؤية باقي العلماء في الحوزات العلمية الدينية.

إن هذه الرقابة الشديدة والمستمرة تحقق أمرين:

الاول: سلامة خط المرجعية الدينية وضمان استقامتها، وذلك لأن أية بادرة انحراف أو زلل كبير من قبل المرجعية سوف يواجه بالتصحيح والترشيد والتسديد من قبل العلماء الآخرين، فاذا لم ينفع ذلك فان ارتباط الأمة بالحوزات العلمية، وبعلماء الدين عموماً، وبباقي المراجع الآخرين سيشكل ورقة ضغط كبيرة جداً لتقويم المسيرة، وإبعاد الانحراف، أو في آخر التقادير والحالات سقوط المرجعية الدينية المنحرفة عن الاعتبار وسلب الثقة منها، وبالتالي تتعرى أمام الأمة فلا تستطيع أن تحرف المسيرة، وهذا هو ما تحقق عمليا في الجمهورية الاسلامية في ايران بشكل واضح حيث يتكاتف علماء الدين ومجموع المراجع والحوزات العلمية لحفظ المسيرة وسلامتها وقد لوحظ أيضاً سقوط بعض الوجوه الدينية حين حاولت حرف المسيرة، وشق وحدة الأمة والانسياق مع الهوى.

إن ما تحقق في ايران لهو تجسيد كامل لهذا الضمان، كما أن تاريخ المرجعيات الدينية شهد أمثلة أخرى لهذا التجسيد يعرفها من له اطلاع على تاريخ التشيع والممارسات القيادية لعلماء الدين ومراجع الأمة.

الثاني: إن رقابة الأمة والحوزات العلمية تقف مانعاً أمام أية محاولة تسلّل لمقام المرجعية الدينية من قبل الاشخاص المشبوهين، والبعيدين عن الالتزام الديني، والاهداف الاسلامية، نحن نعرف ان التسلل الى مقام القيادة هو أخطر أسلوب تتبعه المؤامرة، واذا نجحت المؤامرة في صنع قيادات مقبولة لدى الجماهير ولكنها منحرفة ومرتبطة بالجهات الكافرة في الواقع، فان ذلك يعني انتصار المؤامرة، وحرف المسيرة... امّا في قيادة المرجعية الدينية فان رقابة الأمة والحوزة العلمية لا تسمح بأي تسلل اليها... والشريعة الاسلامية حرصت على هذه الرقابة وأكدتها، وذلك من خلال دفع العالم الديني للالتقاء بالجمهور والانفتاح عليه والعيش في وسطه، ومن خلال دفع الأمة لمراقبة العالم ومحاسبته والتأكد من زهده في الدنيا واخلاصه لدينه. فالشريعة الاسلامية تدفع العالم الديني باتجاه الجمهور وتدفع الجمهور باتجاه

العالم، وبذلك تكون الرقابة محكمة وقوية. وفيما يلي نشرح هاتين القناتين: _

١ _ دفع العالم باتجاه الجمهور:

أما دفع العالم باتجاه الجمهور فيمكن ابرازه في عدة شواهد: فالشريعة الاسلامية دعت علماء الدين بالحاح لتعليم الجمهور وتوعيتهم وتربيتهم، وازاحة الشبهات عنهم، وانقاذهم من الشكوك والفتن، وقد وردت في هذا المعنى روايات ونصوص عديدة جداً نكتفي بالاشارة الى بعضها.

ورد عن الامام الصادق عليه السلام:

«قرأت في كتاب علي عليه السلام ان الله لم يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال».[١]

ومعنى هذا ان بذل العلم، وتوعية الناس واجب على العلماء.

وفي رواية أخرى:

«ان معاوية بن عمار سأل الامام الصادق عليه السلام، رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويشدده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل؟

---

[١]. أصول الكافي _ ج١ _ باب بذل العلم.

فقال عليه السلام: الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد».[١]

ومعنى هذا أن قيمة العالم انما هي بمقدار فائدته وعطائه للناس، وتربيته لهم.

ومن الشواهد التي تبرز دفع الشريعة الاسلامية العالم باتجاه الجمهور حتى يكون معروفاً لديهم، ومكشوفاً، هو عدم صحة صلاة الجماعة خلف الامام المجهول، وضرورة التعرف عليه شخصياً وعلى عدالته كما لا تصح صلاة الجماعة إذا كان الامام محتجباً عن المصلّين، أو كان يصلّي في مقصورة مثلا. ففي بعض الروايات عن الامام الباقر عليه السلام: «أن هذه المقاصير انما أحدثها الجبّارون».[٢]

هنا نسأل:

لماذا لا تصح الصلاة خلف المجهول؟

ولماذا لا تصح الصلاة إذا كان إمام الجماعة يصلي في مقصورة؟

إن دلالة هذه الاحكام واضحة جداً في أن الشريعة تريد أن يتعرف الجمهور على العالم، ويكتشفوا شخصيته وعدالته واستقامته وتقواه من خلال حضوره بينهم ومعايشته لهم.

---

[١]. نفس المصدر.

[٢]. وسائل الشيعة _ ابواب صلاة الجماعة _ الباب ٥٩.

ومن جملة الشواهد على أن الشريعة الاسلامية تدفع العالم باتجاه الجمهور، خطبة الجمعة، والعيدين، فان الخطبة في هاتين الصلاتين واجبة، ومن خلالها يتعرّف الجمهور على العالم الديني وقدرته ووعيه وعلمه وتقواه.

اذن ففي كل اسبوع يلتقي الجمهور بالعالم الديني ويستمعون الى حديثه، ومن خلال هذه الأحكام الشرعية، والالتزامات الدينية، نجد أنه يتعذر على المنحرفين التسلل الى مقام المرجعية الدينية فهم سينكشفون أمام الناس في بداية الطريق وسوف يعرف الناس انحرافهم ومراءهم.

٢ ـ دفع الجمهور باتجاه العالم:

قلنا إن الشريعة الاسلامية تقوم بعملية دفع متبادلة، دفع العالم لينفتح على الجمهور، ودفع الجمهور ليلتقوا بالعالم، ويتعرفوا عليه.

هناك روايات عديدة تدعو الناس الى طلب العلم، ومجالسة العلماء، وزيارتهم، والسؤال منهم، والاستماع اليهم، حتى ورد في بعضها أن «النظر الى وجه العالم عبادة...» وفي الوقت ذاته فان الشريعة الاسلامية دعت الناس للتأكد من عدالة هؤلاء العلماء وتقواهم واستقامتهم، لا اتباعهم من دون أي تأمل ودراسة، وحذّرت

الناس من علماء السوء المتاجرين بالعلم.. فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام:

«اذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فان كل محب لشيء يحوط ما أحب».[١]

وفي رواية اخرى يقول الامام الصادق عليه السلام:

«انظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه».[٢]

اذن يجب دائماً النظر في حال هؤلاء العلماء الذين نتعلم منهم.. وبعض الروايات تشرح للناس أقسام العلماء لكي يكونوا على حذر من بعضهم، فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام: قوله:

طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم:

«صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل».[٣] وفي ذلك روايات كثيرة جداً.

ونتيجة كل ذلك يكون للامة رقابة حقيقية على العالم من الصعب جداً أن يفلت منها، أو يصعد الى مقام المرجعية دون أن يكون مخلصاً مؤمناً وورعاً حقيقة، وهذا هو ما يفسر لنا كون الأغلبية

---

[١]. أصول الكافي _ ج١ _ باب المستأكل بعلمه.
[٢]. أصول الكافي _ ج١ _ باب صفة العلم.
[٣]. المصدر السابق _ باب النوادر.

الساحقة من علماء الدين، والمراجع العظام هم قدوة صالحة، وأولياء مخلصون، بينما نجد انّ كل المزيفين انكشفوا في وسط الطريق ورفضتهم الأمة ونبذتهم، ولدينا في تاريخ الحوزات الدينية أمثلة كثيرة على ذلك يعرفها الجميع.

الثالث: علنية القيادة:

وبهذا الصدد نريد أن نشير الى عنصر مهم جداً في قيادة المرجعية الدينية يضمن سلامتها واستقامتها، ويساعد الأمة في رقابتها، وهو كونها قيادة علنية ومكشوفة وليست قيادة سرية ومجهولة. إنها قيادة يعرفها كل الجمهور ونابعة من وسط الجمهور وأمام أعين الجمهور بحيث يعرف الجمهور ويرى ويراقب أي انحراف تتعرض له.

«وهذه نقطة امتياز كبيرة بين قيادة المرجعية الدينية والقيادة الحركية الحزبية».. حيث ان هذه قيادات سرية ومجهولة، ويمكن أن تصاب بالانحراف والزلل بعيداً عن أعين الجمهور، كما يمكن التسلل اليها من قبل الجهات المشبوهة دون أن تقدر الأمة على منع ذلك... وهذه هي نقطة الخطر في القيادة الحركية الخفيّة.

هذا كله في رقابة الأمة.

* * *

ونعود الآن لنؤكد على رقابة الحوزة العلمية على المرجعية الدينية.

فنحن نعرف ان المرجع الديني يعتمد في علاقته مع الجمهور على هذه القناة الضخمة أعني الحوزة العلمية، وهؤلاء بدورهم هم جهاز رقابة قوية على المرجع الديني، كما أنهم جميعاً جهاز تصحيح للمواقف.

نستطيع أن نخلص من كل ذلك الى النتيجة التالية: «إن قيادة المرجعية الدينية محاطة بسياجين قويين ضد الانحراف».

السياج الاول: رقابة الأمة.

والسياج الثاني: رقابة الحوزة العلمية.

ومن الصعب جداً للعالم المنحرف أن يخترق هذين السياجين دون أن يسقط سريعاً في أعين الجماهير.

الرابع: وحدة القيادة الدينية والسياسية:

والضمان الرابع الذي يمنع قيادة المرجعية من الانحراف، ويحافظ على سلامة خطها وبالتالي سلامة المسيرة الاسلامية هو أن قيادة المرجعية الدينية تعبّر عن وحدة القيادة الدينية والسياسية، فكلا القيادتين يجتمعان في شخص واحد.

إن المرجع الديني، في الوقت الذي هو مقلَّد، يرجع اليه الناس في معرفة أحكام دينهم، كذلك هو قائد سياسي يرجع اليه الناس في معرفة المواقف السياسية الصحيحة.

إن هذا الجمع بين القيادتين في شخص واحد، يعطي لهذه القيادة الموحدة ضماناً قوياً ضد الانحراف والزلل والضياع. وذلك للامور التالية:

١ ــ ان المرجع الديني رجل يفترض أنه قد استوعب الشريعة وهضمها علمياً وعملياً، فهو متخصص في علوم الدين، وآدابه، وأخلاقه، وتربيته. وهو وإن لم يبلغ حد العصمة الا انه بلغ درجة كبيرة في التزامها، والتقيد بها، والاخلاص لها.. ونحن نعرف ان من شرائط التقليد العدالة التي تعني الاستقامة على شرع الاسلام والتمسك المطلق بأحكامه بحيث يصبح طبيعة ثابتة في الانسان.

والعدالة في المرجع الديني الذي يتصدى لقيادة الأمة مشروطة بشكل آكد وأقوى، ذلك انه «كلما كانت المسؤولية أكبر وأوسع وأجلّ خطراً كانت العدالة في من يتحملها بحاجة الى رسوخ أشد وأكمل في طبيعة الاستقامة لكي يعصم من المزالق ومن أجل ذلك

صح القول بأن المرجعية تتوقف على درجة عالية من العدالة ورسوخ أكيد في الاستقامة والاخلاص لله سبحانه وتعالى».[١]

فالمرجع الديني ــ إذن ــ ليس رجل سياسة فحسب انما هو متبصر بأمور الدين، كما هو متبصر بأمور السياسة... والمرجع الديني لا ينظر اليها من زاويتها السياسية الاّ بعد أن ينظر اليها من زاويتها الدينية.

والمرجع الديني أبعد عن التأثر بالمقام والمنصب والحسد والحقد، وما شاكل ذلك من أمراض النفس، ودواعي الانحراف.

٢ ــ وطالما ان المرجع الديني هو الذي يمارس القيادة السياسية، فهو يطلع عن كثب على المشاكل والمواقف السياسية ويعايشها، ويتتبع تفاصيلها، ويحيط علماً بكامل الاوضاع والاشخاص والاتجاهات من حوله.. فهو لا يعيش بعيداً عنها، وتنقل له على الافواه وعلى لسان الاشخاص. وهو لا يسمع فقط، وانما يسمع ويرى بعينه ويعيش كاملا في الوسط السياسي ومن ثم يمارس القيادة.

إن هذا الامر في قيادة المرجعية الدينية يشكل ضماناً قوياً ضد انحراف المسيرة، وذلك انه من الصعب ان يقع المرجع الديني في

---

[١]. الفتاوى الواضحة ــ السيد الصدر.

خدعة أو تعمى عليه الحقائق، أو يخفى عليه الاتجاه المنحرف لأنه يعيش مع الاحداث، ومع كامل الاوضاع.

الاتجاهات الأخرى:

ويجدر أن نشير الى أنه في مقابل مبدأ وحدة القيادة الدينية والسياسية في شخص المرجع، في مقابل هذا المبدأ يوجد اتجاهان:

الاتجاه الاول: اتجاه الفصل بين الدين والسياسة الذي يهدف الى تنحية العالم الديني عن الاحداث والمواقف السياسية تماماً..

وهذه هي المحاولة التي عمل الاستعمار خلال عشرات السنين على ايجادها وتعميقها في صفوف المسلمين...

الاتجاه الثاني: يحاول ان يعطي للفقيه _ العالم الديني _ موقعاً في العمل السياسي، لكن ليس هو مقام القيادة، وانما هو مقام المستشار الفقهي الذي يقف الى جانب القيادة السياسية وينظر في شرعية موقفها وقراراتها أو عدم شرعيتها، ويحاول أن يعرّفها بالبعد الفقهي الشرعي في مسيرتها.. ففي ضوء هذا الاتجاه هناك اذن قيادة سياسية، وهناك فقيه أو فقهاء لا يمارسون القيادة السياسية انما يمارسون عملية تصحيح وتسديد القيادة السياسية من ناحية فقهية.

وهذا الاتجاه هو الذي تؤمن به بعض الحركات الاسلامية، وتحاول أن تجمع بينه وبين مبدأ ولاية الفقيه...[١]

وفي هذا الاتجاه نلحظ انه لم تجتمع القيادة الدينية والسياسية في شخص واحد كما لاحظناه في قيادة المرجعية الدينية. ومن هنا فان هذا الاتجاه هو الآخر لا يحقق ضماناً كافياً لعدم انحراف القيادة السياسية وبالتالي انحراف مسيرة الأمة كلها، وذلك للامور التالية:

١ _ ضعف اللياقة السياسية:

ان الخبرات السياسية واللياقة السياسية انما تحصل من خلال التجربة الطويلة، والحضور الحقيقي في أحداث الساحة وعملية الأخذ والعطاء مع الأمة في مختلف أحوالها وأوضعها السياسية. أما حين يعيش الفقيه _ العالم الديني _ في هامش الاحداث... وفي الزاوية لا في الوسط ولا يتولى هو شخصياً وبنفسه عملية التوجيه والقيادة والحضور السياسي، فان لياقته السياسية سوف تبقى محدودة، وضيقة، بينما تتصاعد الاحداث في الأمة، وتتعمق وتتبلور الاتجاهات، وينمو القادة السياسيون وتزداد خبراتهم، وفي حال من هذا القبيل لا يكون الفقيه عاجزاً عن قيادة الأمة سياسياً فحسب

[١]. ثقافة الدعوة _ الجزء الثالث _ ٣٤٩.

بل وحتى عن مواكبة الاحداث، واستيعابها وتفهمها. وهكذا سيعجز مثل هذا الفقيه عن الاشراف على القيادة السياسية التي يتولاها غيره، ولن يستطيع توجيهها وتسديدها، طالما أنه يعيش فقراً في لياقته السياسية. وهذا على العكس تماماً مما نراه في خط المرجعية، حيث يباشر الفقيه كلا القيادتين _ الدينية والسياسية _ فان لياقته السياسية سوف تنمو وتكبر ويكون كفوءاً في المجال السياسي كما هو في المجال الفقهي.

٢ _ وقوع الفقيه تحت التأثير:

وحينما يختص الفقيه بالجانب الفقهي فقط، ويترك القيادة السياسية لغيره ولا يحتك بالأمة، ولا يمارس قيادته، ويثبت وجوده وأبوته لها، بل تكون قناته الوحيدة التي يتعرف منها على الاحداث، وعلى التقلبات، وعلى الاتجاهات الموجودة، وعلى طبيعة الصراع السياسي القائم في الأمة، حينما تكون قناته الوحيدة للتعرّف على كل ذلك هي القيادة السياسية التي يتولاها فئة معينة من الناس، أما هو شخصياً فلا يفتح له قنوات مع الأمة، ولا يقبل ان يتصدى للعمل السياسي، وانما يتكل في ذلك على اشخاص القيادة السياسية، في مثل ذلك سيقع الفقيه دائماً تحت تأثير تلك القيادة

السياسية وسوف تستطيع تلك القيادة أن تصور له الامور بالشكل الذي تريد، وتأخذ منه النتائج التي تريد، وترسم له الموقف الذي يناسبها...

الفقيه _ هنا _ سيكون هو العنصر الاضعف في التوجيه السياسي وليس العنصر الاقوى، وبعبارة أخرى هو العنصر القابل لا العنصر الفاعل، فهو يقبل ما تملي عليه القيادة السياسية لا أن تقبل هي ما يريده الفقيه.

الفقيه _ هنا _ سيكون هو المتأثر لا المؤثر، ومعنى ذلك انه سيخضع تفكيره وموقفه ووجهة نظره لأشخاص القيادة السياسية، ولا يبقى حراً قوياً وصاحب وجهة نظر مستقلة مستمدة من احتكاكه المباشر مع الأمة ومع الأحداث السياسية، وهذا تماماً على العكس من دور الفقيه في خط المرجعية، حينما يباشر هو شخصياً القيادة السياسية مضافاً الى القيادة الدينية، فانه سيكون هو المؤثر لا المتأثر، سيكون هو العنصر الاقوى لا العنصر الاضعف.

٣ _ ضعف النفوذ:

وفي ضوء هذا الاتجاه السياسي اعني الاتجاه الذي لا يعطي القيادة السياسية للفقيه، وانما يضعه بمعزل عنها ويعطيه فقط دور

المفتي الذي يوجّه اشخاص القيادة السياسية من ناحية فقهية، في ضوء هذا الاتجاه يصاب الفقيه بعزلة عن الجماهير، وضعف نفوذه فيهم، في الوقت الذي ينمو ويتعمق وجود القادة السياسيين في وسط الجمهور وسيكون نتيجة ذلك بشكل طبيعي ان الفقيه لن يملك القدرة الكافية لفرض رأيه، لأنه لا يملك الجماهير ولأن الساحة تثق بمن عرفتهم في الميدان وهم أشخاص القيادة السياسية اكثر مما تثق به، فهو غير قادر إذن على مواجهة الانحراف، وهذا تماماً يخالف ما نراه في خط المرجعية، فان الفقيه يتصل بالجمهور مباشرة وهو الذي يرسم لهم دائماً الموقف السياسي لا غيره، اذن فهو نافذ فيهم، وهم يسمعون منه قبل أن يسمعوا من غيره.

ومن مجموع هذه الملاحظات نرى أن وحدة القيادة الدينية والسياسية بيد المرجع الديني هي نقطة ايجابية كبيرة مفقودة في الاتجاهات الأخرى، بينما هي موجودة في خط المرجعية...

* * *

نستطيع أن نوجز ما شرحناه لحد الآن بما يلي:

إن خط المرجعية يمكن الفقيه المرجع من المحافظة على سلامة المسيرة، وسلامة القيادة بالذات، وذلك لعدة ضمانات:

١ _ الضمان الغيبي.

٢ _ رقابة الأمة والحوزات العلمية.

٣ _ وحدة القيادة الدينية والسياسية.

والى هنا نكون قد ذكرنا ثلاثة مكاسب سياسية في خط المرجعية هي:

١ _ استيعاب الجماهير.

٢ _ الوحدة السياسية بوحدة القيادة.

٣ _ الحفاظ على سلامة المسيرة.

* * *

الفهرست

مقدمة الناشر.....٣

مقدمة المؤلف.....٧

تعريف.....٩

الفصل الأول: معالم خط المرجعية.....١١

* التعريف بخط المرجعية.....١٤

* معالم خط المرجعية.....١٦

الأولى: الدور القيادي للعلماء.....١٦

الثانية: قيادة المرجعية.....١٨

الثالثة: علماء الدين هم الروابط بين المرجع والامة.....٢١

الرابعة: المرجع مصدر شرعية العمل.....٢٤

الخامسة: الانفتاح والاستيعاب.....٢٩

* ملاحظات على خط المرجعية.....٣٠

١ _ هل المرجعية قيادة فردية؟.....٣٠

٢ _ هل ترسم المرجعية مراحل العمل؟.....٣٣

٣ _ المرجعية هل تبني القيادات؟.....٣٨

الفصل الثاني: التنظيم في ضوء خط المرجعية.....٤٣

* التنظيم في الحوزة العلمية.....٤٥

* مجالات التنظيم في الحوزة.....٥٠

ميزات التنظيم.....٥٠

أما ما هي صيغة هذا التنظيم.....٥٢

* التنظيم السياسي.....٥٥

* التنظيم في الأمة.....٥٩

الاستراتيجيّة الصحيحة.....٦٠

١ _ مسألة القيادة.....٦٠

٢ _ الروحية العامة.....٦١

الخط الحزبي.....٦٣

١ _ المرجعية دور تكميلي.....٦٣

٢ _ شرعية العمل لا تستمد من المرجعية.....٦٥

٣ _ قدسية التنظيم.....٦٧
ملحق.....٦٩
الفصل الثالث: علماء الدين في ضوء خط المرجعية.....٧١
* النظرية.....٧٣
النقطة الأولى: الولاية الدينية والسياسية.....٧٤
النقطة الثانية: قيادة فعلية وليست أبوّة مجردة.....٧٥
النقطة الثالثة: قيمومة كل العلماء.....٧٦
* تقييم دور علماء الدين.....٧٨
* المبررات العلمية للاطروحة.....٨٥
١ _ البعد الديني للعلماء.....٨٦
٢ _ البعد الاجتماعي للعلماء.....٨٧
* اسلوب العمل.....٩٠
١ _ تنسيق مع المراكز العلمية (مراكز الحوزة).....٩١
٢ _ العمل بالاطار العلمائي.....٩١
٣ _ ربط الشعب بالمرجعية.....٩٢
٤ _ النضال باتجاه الهدفين الرئيسين للدين.....٩٣

الفصل الخامس: المكاسب السياسية لخط المرجعية ١٩٩

الفصل الرابع: الجماهير في ضوء خط المرجعية.....٩٥

مقدمة.....٩٧

* نظرتنا للجماهير.....٩٨

١ _ موقع الشهادة.....٩٨

٢ _ فاعلية الجماهير وقدرتها.....١٠١

٣ _ وحدة الجماهير.....١٠٣

٤ _ وعي الجماهير.....١٠٧

٥ _ حاجة الجماهير إلى الشاهد.....١١٥

٦ _ الحق القانوني للجماهير.....١١٨

* أسس عمل الجماهير.....١١٩

١ _ مبدأ مسؤولية العامة.....١٢٠

٢ _ مبدأ الحرية الفكرية والسياسية.....١٢٤

٣ _ مبدأ التعاون على البرّ.....١٢٩

٤ _ حق المبادرة.....١٣٥

٥ _ الانقياد لعلماء الدين.....١٣٦

٦ _ الموضوعية في المواقف والافكار.....١٣٩

الفصل الخامس: المكاسب السياسية لخط المرجعية.....١٤٩

* ١ _ استيعاب الجماهير.....١٥٣

ملاحظات.....١٥٤

عوامل الاستيعاب.....١٥٥

١ _ تاريخ خط المرجعية.....١٥٦

٢ _ رابطعة التقليد.....١٥٨

٣ _ حرية العمل.....١٦٠

طاعة الجماهير وانقيادها.....١٦٢

القدرات الناشئة من طاعة الجماهير.....١٦٣

* ٢ _ الوحدة السياسية بوحدة القيادة.....١٦٤

ضمانات وحدة القيادة.....١٦٨

١ _ العنصر القانوني.....١٦٩

٢ _ العنصر الذاتي.....١٧٠

* ٣ _ الحفاظ على سلامة المسيرة.....١٧٦

ضمانات السلامة.....١٧٩

الأول: الضمان الإلهي.....١٧٩

الثاني: رقابة الأمة.....١٨٢

١ _ دفع العالم باتجاه الجمهور.....١٨٥
٢ _ دفع الجمهور باتجاه العالم.....١٨٧
الثالث: علنية القيادة.....١٩١
الرابع: وحدة القيادة الدينية والسياسية.....١٩٠
الفهرست.....١٩٩

* * *